

كتاب
فصل العوا^ل على الع^لس

لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل الفكري

صححه وحققه وعاق عليه

محمود محمد شاكر

القاهرة

١٣٥٣

عنيت بنشر

الطبعة الثانية - ومالك بن نطحا
لصاحبها محب الدين الخطيب

حقوق الطبع محفوظة ❧

مُتَدِمَةُ النَّكَاشِثِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وبعدُ فان كتابَ فضل العطاء على العُسْرِ لأبي هلالِ الحسنِ بن
عبدِ الله بن سهلِ العسكريّ ، مرآةً تنعكس عليها فضيلةٌ من فضائل
العرب لا يكاد يضارِعهم فيها غيرهم من أُمم الارض ، وهو على ذلك سفرٌ
من أسفار الادب العربيّ التي يرغب فيها الناس لما يجدونه فيها من مُتعةٍ
وفائدةٍ ، وقد سبق الى نشر هذا الكتاب في سنة ١٣٢٦ الاديّب
الفاضل الاستاذ محمود الجبالي بامم (كتاب الكرماء) ، فلما صارت
نسخةُ عزيزة على طلابها رجوتُ صديقَ الاديّب الضليع الاستاذ محمود
محمد شاكر أن يقوم بتصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه ، فقام بذلك
على الوجه الاكمل ، وردّ الى الكتاب الاسم الذي سماه به مصنفه رحمه
الله ، فجاء كما يرى القارئُ زينةً المكتبة العربية . فشكراً للاستاذ
السيد محمود شاكر على هذه المأثرة ، وأرجو الله أن يجزيه عنى وعن
المؤلف والقراء أفضل ما يجزى به عباده العاملين

م. ب. خ. ط. ب.

كَلِمَةٌ

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما « أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أيُّ الناس أحبُّ إلى الله ؟ فقال : أحبُّ النَّاسِ إلى الله أنفعهم للناس ، وأحبُّ الأعمال إلى الله عزَّ وجلَّ سرورٌ تدخله على مسلمٍ ... تكشفُ عنه كربةً ، أو تقضي عنه ديناً ، أو تطرد عنه جوعاً . ولأنَّ أمشي مع أخٍ في حاجةٍ أحبُّ إلى من أن أعتكف في هذا المسجد - يعني مسجد المدينة - شهراً . ومن كظم غيظه - ولو شاء أن يمضيه أمضاه - ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً ، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يقضيها له ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام »

ولم أر في الحياة أضلَّ من رجلٍ يَبْسُطُ له اللهُ من نعمته وبرِّ كتمه ويمدُّ له أسبابَ الغنى ولو شاءَ لَمَنَعَهُ ثُمَّ لا يجدُ بياناً يشكرُ به اللهَ على ما أمدَّه من الرزق أبينَ من حرمانِ أخيه من الناسِ فضلَ ما أنعم الله به عليه

ثم لا أدري كيف لا تنبسط نفسُ امرئٍ بالعطاء وهو يعقل ! ؟ ألم ينظرُ إلى نشأته ونشأة أخيه ، وكيف كان كلٌّ منهما طفلاً لا يملكُ من أمرِ نفسه شيئاً ، حتى إذا بلغَ أشده واستوى آتاهُ الله ومنع أخاهُ ، وكرَّمه بنعمته ، وحرَّم أخاهُ ، ورَحِمه الله ، وأحوجَ أخاهُ . أفلا يعلم أن لو يشاء

الله لكان هو المحروم الممنوع الذي تُصرفه الحاجة وتسوقه الضرورة وتضربه حوادث الأيام، أم أطلع على الغيب فرأى ما آتاه الله باقياً عليه، فما يخشى تقلب الدهر به، ولو كان ذلك لكان أحرى بالبذل وأجدر بالجود وأبعد عن الشح

ولكن... ولكن غيّرت الأيام فطرة الله التي فطر الناس عليها فزأغت طبائع قوم عن رشدها وصرفها الهوى وقادتها الشهوات، فزين لهم أمر الدنيا فذسوا وغفلوا وضلوا وأضلوا وكان أمرهم فرطاً. والفطرة الأولى في الإنسان فطرة مستقيمة لا زيغ فيها ولا عوج، لأنه كان - لا يبالى بشيء من أمور الحياة إلا بما يقيم صلبه ويرد شهوة الطعام، وما يقيه لذعة البرد، ويدفع عنه وقدة الشمس، وما فضّل عن ذلك من أمر الدنيا فسبيله سبيل كل ما لا يعنى ولا يفيد. وكان الحرص.... ولكنه كان حرصاً في حدود من الإنسانية البريئة المصفاة كان حرصاً على بعض أسباب الحياة مما يقيم الأود ويسد الخلّة ويبقى مصارع الضر، ثم امتد مع الزمن والحضارة والعمران والشهوات حتى أصبح حرصاً على كل أسباب الحياة من مال وبنين ورُخف ومتاع ومن غريب حكمة الله في الإنسان أن جَمَعَ فيه الغرائز كلها خيرها وشرها، مما تفرّق في الحيوان كله، ثم منحه العقل المدبر المفكر الذي نقص من الحيوان كله، ليمهد بذلك للإنسان سبيل الرقي والتدرج. فلو استقامت غرائز الإنسان على طراز واحد لما كان هناك للعقل عمل ينفي

به شيئاً ويمكن لشيء ، ويزيفُ أمراً ، ويشبت آخر . وذلك لأن عمل العقل إنما هو في تنازع الغرائز فيه ، وهذا التنازع هو الذي يرهبه ويحده ويسوغ له القدرة على الابتداع والاختراع ، واستنباط ما لم يكن بيننا وتبيين ما كان خفياً

على أن هذا العقل الذي أودعه الله تلك الفخارة الصغيرة ، والذي هبَّ ليقود الغرائز ويرد من جماحها ويكسر من شررتها ، قد يذلُّ لغريزة الجائحة فلا تزال تجري به وهو في غبارها كالخشب لا يستبين قبيل أمره من دبيره ، وفي هذا الذلُّ الحقُّ كلُّ الحقِّ للإنسانية التي تميز بها الإنسان من سائر الحيوان . ولا تتجلى الإنسانية في رجل إلا أن يكون عقله هو مدبر غرائزه وقائدها وهاديها ، قائماً عليها لا تدركه الغفلة ، ولا يستبدُّ به الهوى ، ولا تطوُّحه النوازغ . وفي هذا التركيب الحكمة العظمى في تدبير الخلق ، وتسيير الحياة ، وإيجاد التفاوت بين البشر ، ولولا هذا التفاوت لانسألت الحياة في مجرى واحد لا يتغير ، ولأنحسرت مادة الموج الذي يعلو بالأمم وينخفض ، ولكان الإنسان حيواناً يرعى المرعى ويتبع الكلاً ويتطلب الصيد ويأوى إلى غار أو غاب أو كناس ولا يمدُّ بصره إلى ما وراء ذلك من أمر الدنيا والآخرة ، ولبقى على حالة واحدة من العمران والحضارة لا تسمو ولا تتدلى

ومن أظهر الغرائز في الإنسان غريزة المنفعة ، فهو لا يفتأ يتطلب المنفعة لنفسه من كل وجه وفي كل سبيل ، ثم هي أكثر غرائز الإنسان

تصرفا على حالين من المصلحة والضرر ، ولا يصرفها في هذين الوجهين إلا العقل أو الهوى . فاذا استحكم العقل و بَصُرَ قَادَهَا الى كل مافيه الخير الانسانى المشرق ، واذا غلب الهوى واستبدَّ ضَرَبَ بها كل وجه حتى ترتطم فى أنواع من الشرور وظلمات من الضلال لا هادى فيها ولا دليل . وعلى ذلك فهو أسُّ الفضائل وِعِمَادُهَا أو أُمُّ الرذائل و غِذَاؤُهَا ، وعَمَلُ العقل فيها إنما هو فى نفي الأثرة عنها وتدريبها على السماحة والبذل والشعور بالشركة فى نعم الله التى مَنَحَهَا وجعلنا عليها قُوَّامًا وَسُوءَاسًا ، وفى اخذها بالمذهب الصحيح فى أن المنفعة التى تَخْصُ ليست منفعة بل ضرراً ، وأن المنفعة التى تَعُمُّ هى السعادة والصلاح ، وإن كان نصيب الفرد فى الثانية أوكس منه فى الأولى . وعمل الهوى فى هذه الغريزة إنما هو فى تصريفها بالأثرة ، والتفرُّد والاختصاص والحرص والظن والشح وتفضيل مافيه صلاح الفرد على مافيه صلاح الجماعة

ومن هذه الغريزة القوية يستمد العسر واليسر - أو السماحة والشح - اللذان أفرد لهما أبو هلال هذه الرسالة فى تقديم الأول على الآخر منهما . وكان قصد السبيل فى هذه الرسالة التى بين يديك أن نعرضها عليك دون أن نُقَدِّمَ لها أو نُصَدِّرَ ، وما حملنا على كتابة هذه الكلمة إلا ما نجد فى الناس من الغدر والخيانة والشح فى ساعة الجدِّ وأوانِ الخير ، والاسراف والتبذير فى كل مُهِلِكَةٍ مَبِيرَةٍ أو مَلْهَمَةٍ مُضِيعة ، ولقد وجدنا أيضا كثيراً من أهلها لا يملكون الاذراء على العرب وعاداتهم

وأخلاقهم ، ويعدون الكرم من نقائصهم . ويشكرون للأُمم الاوربية
صنيعهم في الاقتصاد والتدقيق ، ويقولون ان الاوربيين ينصفون أنفسهم
وأهلهم حين لا يدعون أحداً الى طعامهم إلا أن يكونوا قد أعدوا له
العدة ، فاذا لقي الصديق منهم صديقه على حين غفلة لم يدعه الى داره
لان طعام داره إنما هو طعام أهلها لا طعام الناس من كل غادر رائج .
وهذه فتنة من التدليس على العقل باستبداد هوى الحرص والشح على
الغرائز الكريمة في الانسان ، وتسويل من النفس الامارة بالسوء ،
ومد من الطمع واغراء من الظن المريض في حيازة الدنيا ، ولو قصد
الرجل سواء السبيل لوجد أن أقل الدنيا كأكثرها في مصارف الحياة ،
وما يفرق بين قليلها وكثيرها إلا سحر الحياة الدنيا وشهواتها وزينتها .
ولقد دخل عمر بن سعد بن أبي وقاص على عمر حين رجع اليه
من عمل حمص - وكان قد جعله والياً عليها - وليس معه إلا جراب
وإداوة وقصعة وعصا فقال له عمر - الخليفة الزاهد - ما الذي أرى بك ؟
من سوء الحال أم تصنع ؟ قال : وما الذي ترى بي ؟ ألسنت تراني صحيح
البدن ، معي الدنيا بخذافيرها . قال : وما معك من الدنيا ؟ قال معي
جرابي أحمل فيه زادي ، ومعى قصعتي أغسل فيها ثوبي ، ومعى إداوتي
أحمل فيها مائي لشرابي ، ومعى عصاي ، إن لقيتُ عدواً قاتلته ،
وإن لقيتُ حيةً قتلته . وما بقي من الدنيا تبع لي ما معي
فهذا هو النظر الصحيح إلى أمور الدنيا عليها وسافلها ، قليلها

و كثيرها ، ولا جرم أن يكون مثل هذا الرجل من سادة الدنيا إذ لا يبالي « أو وقع على الموت أم وقع الموت عليه » . ولا عجب أن تسعد أمة يكون سادتها وأغنياءها قد صححوا مقاييس الغنى والفقر على هذا المقياس الفطري الجميل حتى يصير هم المال في بذله والسماحة به ، لا في قبضه والحرص عليه ، ويبطل هذا العمل الفاسد الذي انتظم أكثر المدنيات والذي استبد بالمدنية الحديثة فمدت الفتن أعناقها في كل مكان بوجه من الاشتراكية والشيوعية ظالم كظلم

وليس الكرم والجود في بعثرة الأموال وإلقائها في الجذب والخصب بغير حساب ولا ميزان . بل الكرم في بذل المال في الأرض الصالحة الطيبة ، التي تنبت نباتاً حسناً يزكو فينفع الناس ويزيد في الخير ، والجود إرسال المال على الأرض التي تحبى به وتتعالى ، وما سوى ذلك من إراقة المال في غير وجه مقصود ولا غاية مستبينة إسراف وإتلاف المال وصاحبه وآخذه

ولا أدري لم يترك الرجل جاره غرثان طويلاً وهو ينال من أطيب الدنيا وخيراتهما ما تمتد إليه عينه وتناله يده ؟ ولو هو نبذ من فضل ما ينال إلى جاره المسكين لأحياه ، واستودعه حسنة باقية في قلبه ما أورق عود ، وما أهل مولود . إلا أن مطالب الحياة والمدنية خاصة قد نخذعت الناس عن قلوبهم فما تجد رجلاً ممولاً ينبض قلبه مع قلوب أهله في الضراء والبؤسى ، يشعر بما يشعرون

ويبكي لما يبكون ويتألم مما يتألمون . بل يتعمده الهوى بالحرص
على ما في يده لما يتوهم من أحداث الزمان وتصاريف الأيام ، ولو
أنصف الناس وأرضى هواه لحرص على بعض وأدّخر بعضاً منه في
قلوب شاكرة وأفئدة ذاكرة ، فلا يذكر اسمه يوماً موصوفاً باللعنة
فيقال فلان البخيل وفلان الحريص وفلان الشحيح
وما أحسن ما يستودع الرجل الحسنات عند الناس أدوها
أو خانوها ... ما يبالي أن يقال فيه :

ما شكرُ عمرًا ماتراخت منيَّي أيادي لم تمنن وإن هي جلت
فتى غير محبوب الغنى عن صديقه ولا يظهر الشكوى إذا النعل زلت
رأى خلقتى من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلت
ولا يحسبن أحدًا أنا ندعو الناس إلى الفوضى في إرسال المال ولا
أنا نؤم بهم إلى سبيل من فساد الدنيا واطّراح زينة الحياة ، بل الأمر
كله في هذا الداء الذي استبطن القلوب فقبض الأيدي عند الضرورة
الداعية إلى البذل ، وفي هذا التجهم البغيض في وجه السائل والمحروم
وفي هذا الإحجام الباغي عن فعال الخير ؛ حتى اضطرب حبل الحياة
في أيدي الناس وهب (الاقتصاديون) يريغون المخرج من الأزمات
ودعاة السلام يتوَجَّسون أن تحلّ بالعالم كارثة من دوى المدافع وتحلق
الطائرات فتخرّ المدنية على رءوس أهلها بالعذاب والدمار واليتم والفقر
والهلاك

وكيف يرغبون المخرج ويدعون إلى السلام وما من رجل إلا وهو
أحرص على المال من حرصه على أهله وبنيه ، وكيف يرغبون المخرج
ويدعون إلى السلام والأغنياء لا يملأون شهواتهم ولا يفترون عن إرسال
المال في كل سبيل إلا سبيل الفقر والمسكنة ، وكيف يرغبون المخرج
ويدعون إلى السلام وما من نفس تطيب برد شهوة من شهواتها لترد
على فقير روحاً على وشك قلعة وأرتحال

ألا إن العيب أن يحاول أحد من السوأس والقادة إنقاذ العالم
مما يرتطم فيه ، بالمؤتمرات والكلام الملقق والعلم المتعالي ، وكيف يداوون
داءً مستبطناً قد تلبس باللحم وخالط الدم وجرى من ابن آدم مجرى
الحياة ، كيف يداوونه بدواء لا يصل إلى موضع الداء في أحد من أهل
هذا العالم . إن كلامهم ككل كلام يلقي إلى قلوب غير صاغية وآذان غير
واعية ، ولا أمل في استنقاذ العالم مما هو فيه إلا بدواء يتناول الأمم أمة
أمة ، والطوائف طائفة طائفة ، والرجال رجالاً رجالاً فينفضها لينفي عنها
الخبث والوضر حتى تعود بيضاء نقية

ألا وإنه لا أمل في استصلاح ما أفسد الدهر إلا برجوع العالم إلى
فطرة الاخلاق الكريمة والفكر المتوقد البسيط الذي لا تعقيد فيه ، والشعور
الحى بالأخوة بين الناس ، والسماحة الأولى التي كانت بين الناس . أما
أن تطلب إلى رجل أو طائفة أو أمة تقدم الشهوات والأهواء على المنافع
المشتركة بين الناس أن تجود أو أن تحط لك شيئاً من الأشياء تقتضى

المنفعة العامة حظه وإسقاطه ، فانظر الى الجبل إن نفخت فيه هل يطير
أو يضطرب !

لا أمل ، لا أمل إلا أن ترى الرجل يلقي أخاه من الناس في ضحك
وضيق ، فيغمه أن يراه حتى يبذل إليه ما غلا وما عز ، حتى تنكشف
الكربة وتتقشع ولو أصابه ما يصيب

وصدق رسول الله ﷺ « ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد
لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه »

محمود محمد شاكر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَصَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

كَتَبَ الشَّيْخُ أَبُو هَلَالٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَهْلٍ

الْأَدِيبُ إِلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ :

« جَعَلَ اللَّهُ السَّيِّدَ فِي حِزِّ السَّلَامَةِ وَحَمَلَةً ^(١) الشُّكْرِ ،

كَمَا آتَاهُ مِنَ الْفَضْلِ ... مَا تَدَانِي دُونَهُ شَأْوُ الْوَصْفِ وَالذِّكْرِ ؛

وَوَفَّرَ الْفَوَاضِلَ عَلَيْهِ ، كَمَا قَيَّضَ الْفَضَائِلَ لَهُ ؛ وَلَا أَزَالَ عَنِ الْكَرَمِ

ظِلَّهُ ، وَلَا أَزَلَ عَنِ الشَّرَفِ رَحْلَهُ ^(٢) ؛ وَأَبْقَاهُ بَقَاءً مُذِيلاً بِالتَّمَامِ

مُطَرِّزاً بِالْإِكْرَامِ ، مَا رَسَا ثَبِيرٌ ، وَاخْتَلَفَ ابْنًا سَمِيرٌ ^(٣) إِنَّهُ حَمِيدٌ

مَجِيدٌ فَعَالٌ لَمَّا يُرِيدُ

(١) فِي الْأَصْلِ « وَجَلَّهُ » ، وَارْتَضَيْنَا « الْحَمَلَةَ » الَّتِي هِيَ مَنْزِلُ الْقَوْمِ

لِتَحْسِنَ الْمُقَابَلَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ قَوْلِهِ « حِزِّ السَّلَامَةِ »

(٢) فِي الْأَصْلِ « رَجَلُهُ » وَالصُّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ ، وَأَزَلَ فَلَانُ فَلَانًا

عَنْ مَكَانِهِ : نَحَاهُ عَنْهُ

(٣) ثَبِيرٌ : مِنْ أَعْظَمِ جِبَالِ مَكَّةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَرَفَةَ . وَابْنُ سَمِيرٍ :

يَقُولُونَ سَمِيرٌ الدَّهْرُ وَأَبْنَاهُ هُمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . وَهَذَانِ مَثَلَانِ لِلدَّوَامِ وَالثَّبُوتِ

الجود - أيد الله السيد - إذا كان عن يسار وجدة ، وإثراء
 وسعة ^(١) ، واجب لا يسع الإخلال به ، ولا يَجْمَلُ التقصير فيه
 والمشاهد ^(٢) أن المرء إذا أمسك مع الكثرة ، وبخل مع الثروة ،
 تناوله اللوم من كل وجه ، وانتزع إليه الذم من كل جانب ؛ فهو
 المدفوع إلى السباحة ، والمحمول على الإنالة ؛ ليبعد من اللوم ،
 وينزّه عن الذم . وليس يدل بذله وإن جزل ، وبره وإن كمل ،
 على كرم أصلي ، وسماح عنصري ، كما يدل عليه جهد المقل ،
 ومواساة المخل ^(٣) ومن لم يعط من اليسير ، لم يعط من الكثير .
 وقد قلت :

من لم يُواسِكْ في قليلٍ لم يُواسِكْ في كثيرٍ

(١) في الأصل « وضعة » ولا معنى لها هنا ؛ والجدة : من قولهم
 وجد في المال ، بفتحين ، يجد « بكسر الجيم » استغنى غنى لا فقر
 بعده . و « الحمد لله الذي أوجدني بعد فقر » أي أغنانى

(٢) في الأصل « والشاهد »

(٣) المخل : بضم الميم وفتح الخاء المحتاج الفقير من قولهم أخل

به بالبناء للمجهول : أي صار ذا خلة وفقر وحاجة

والحقُّ يَلْزَمُ في الكثير وليس يسْقُطُ في اليسير
وقال الأول :

ليس جودُ الجوادِ من فضلِ مال . إنما الجودُ للمقلِّ المواسي
والعرب تقول : « أعطِ أخاك من عَقْنَقِلِ الضَّبِّ »
(وعَقْنَقِلِ الضَّبِّ مُصْرَانُهُ ^(١) . أي أنك إن لم تملك إلا معي
ضَبٌّ فلا تبخل به على أخيك ، واجعل له منه قسماً ، وصير له
فيه سَهْماً) . ويقولون : « أخوك من آسأك » . وقال رسول
الله ﷺ « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ »

وأخبرنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد ، عن
الجوهري ، عن المنقري ، عن الأصمعي ، عن بعض العباسيين ،
قال : كتب كلثوم بن عمرو إلى رجل في حاجة :

بسم الله الرحمن الرحيم أطال الله بقاءك ، وجعله يمتدُّ
بك إلى رضوانه وجنته أما بعدُ ، فإنك كنت روضةً من
رياض الكرم تبهجُ النفوسُ بها وتستريحُ القلوبُ إليها ؛ وكنا

(١) المصران جمع : مصير ، وجمع الجمع مصارين ، وهي الامعاء
جمع معى بكسر الميم وفتح العين

نُعْفِيهَا مِنَ النَّجْعَةِ^(١) اسْتِثْمَامًا لَزَهْرَتِهَا ، وَشَفَقَةً عَلَى نَضْرَتِهَا ،
وَأَذْخَارًا لِثَمَرَتِهَا ؛ حَتَّى مَرَّتْ بِنَا فِي سَفَرِ تَنَا هَذِهِ سَنَةً كَانَتْ
قِطْعَةً مِنْ سَنَى يُوسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - : اشْتَدَّ عَلَيْنَا كَلْبُهَا^(٢) ،
وَأَخْلَفْتَنَا غَيُومُهَا ، وَكَذَبَتْنَا بِرُوقِهَا ، وَفَقَدْنَا صَالِحَ الْإِخْوَانِ
فِيهَا . فَانْتَجَعْتُكَ ، وَأَنَا بَانْتِجَاعِي إِيَّاكَ شَدِيدُ الشَّفَقَةِ عَلَيْكَ ، مَعَ
عَامِي بِأَنَّكَ نِعْمَ مَوْضِعُ الرَّائِدِ . وَاعْلَمْ أَنَّ الْكَرِيمَ إِذَا اسْتَحَى مِنْ
إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ وَلَمْ يَحْضُرْهُ الْكَثِيرُ ، لَمْ يُعْرِفْ جُودَهُ وَلَمْ تَظْهَرْ نِعْمَتُهُ .
وَأَنَا أَقُولُ فِي ذَلِكَ :

ظَلُّ الْيَسَارِ عَلَى الْعِبَّاسِ مَمْدُودٌ وَقَلْبُهُ أَبَدًا بِالْبُخْلِ مَعْقُودٌ
إِنَّ الْكَرِيمَ لِيُخْفِيَ عَنْكَ عُسْرَتَهُ حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ مُجْهَدٌ
وَالْبَخِيلُ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ زُرْقُ الْعَيُونِ عَلَيْهَا وَجْهٌ سَوْدٌ
إِذَا تَكْرَّهْتَ أَنْ تَعْطِيَ الْقَلِيلَ وَلَمْ تَدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرَ الْجُودُ
بُتَّ النِّوَالِ ، وَلَا تَمْنَعُكَ فِلَتُهُ ، فَكُلْ مَا سَدَّ فَقْرًا فَهُوَ مَحْمُودٌ^(٣)

(١) النَّجْعَةُ : طَلَبُ الْكَلَالَةِ فِي مَسَاقِطِ الْغَيْثِ

(٢) كَلْبُ الشِّتَاءِ : شِدَّتُهُ الَّتِي تَحْرِقُ الزَّرْعَ فَيَكُونُ الْقَحْطُ

(٣) الْأُبْيَاتُ رَوَاهَا الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادِ ج ١٢ ص ٤٩١

قال : فشاطرهُ مالهُ حتى بعث إليه بقيمة نصف خاتمهِ
وفرد نعلهُ

وما مدحت العرب ولا تمدحت بمثل الإِطاء على العُسْر
والمواساة على القِلَّة . وذلك أن أكثرهم كان في شدَّة وإِضناقة ، فلو
جعلوا ذلك حجةً وقبضوا أيديهم عن صِلَة الغريب وبرِّ البعيد ،
لارتفعت العوارف مما بينهم ^(١) ، وغاض الجود فيهم
وأُنشِد عبد الملك بن مروان قول عروة بن الورد :

ونسبها أبو الفرج في أغانيه ج ٣ ص ٤٦ لبشار ، ونسبها صاحب المقد
ج ١ ص ١١٧ لحماذ عجرد ولعلَّ الصواب أنها للعتابيَّ كلثوم بن عمرو .
والعباس المذكور في البيت الأول هو العباس بن محمد بن علي بن عبد
الله بن العباس بن عبد المطلب ، من رجالات بني هاشم كان مقرَّباً
مبجَّلاً عند الرشيد وكان يدعوهُ « عمه » . ولى الجزيرة سنة ١٨٥ وتوفى
في رجب سنة ١٨٦ وكان من أجود أهل زمانه رأياً وابلغهم لساناً وهو
القائل لرجل أتاه يستمنحه بقوله « أتيتك في حاجة صغيرة » فقال :
« اطلب لها رجلاً صغيراً »

(١) العوارف : جمع عارفة وهي صنائع الجود

أَتَهْزَأُ مِنِّي أَنْ سَمِنتَ ، وَأَنْ تَرَى

بجسمي جَهْدَ الْحَقِّ ، وَالْحَقُّ جَاهِدٌ (١)

وَأَنِّي أَمْرٌ عَافٍ إِنَّا نِيَّ شِرْكَةٌ

وَأَنْتَ أَمْرٌ عَافٍ إِنَّا نِيَّ وَاحِدٌ (٢)

أَقْسَمَ جَسْمِي فِي جَسُومٍ كَثِيرَةٍ

وَأَحْسُوْ قَرَّاحِ الْمَاءِ وَالْمَاءُ بَارِدٌ (٣)

فَقَالَ : مَا كُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَلِدَنِي أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا هَذَا

وَقَدْ أَحْسَنَ عَتِيبَةُ بْنُ مَجِيرٍ الْحَارِثِيُّ - مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ

كَعْبٍ - فِي قَوْلِهِ :

(١) الْحَقُّ مَا يَجِبُ مِنْ صَلَةِ الرَّحْمِ وَإِعْطَاءِ السَّائِلِ وَإِيْوَاءِ ذَوِي

الْقُرْبَى وَقِرَى الضَّيْفِ وَابْنِ السَّبِيلِ . وَالْجَهْدُ : مَا يَصِيبُ الرَّجُلَ مِنْ

شَحُوبٍ وَمَرَضٍ حِينَ يَجْهَدُ نَفْسَهُ فِي أَدَاءِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ

(٢) الْعَافِي : الطَّالِبُ الْقَاصِدُ

(٣) وَالْمَاءُ بَارِدٌ : يَعْنِي شَتَاءً ، وَقَرَّاحُ الْمَاءِ : مَا لَمْ يَخَالِطْهُ مَا يَطْيِبُ

يَهُ مِنْ عَسَلٍ وَتَمْرٍ وَزَبِيبٍ . وَالْآيَاتُ يَقُولُهَا عُرْوَةُ لِحَالِهِ قَيْسُ بْنُ زَهَيْرٍ

وَقَدْ تَلَا حَيًّا وَكَانَ قَيْسٌ أَكُولًا بَطِينًا . وَانْظُرْهَا فِي الْعَقْدِ ج ١ ص ١١٨

وَالْمَالِي الْقَالِي ج ٢ ص ٢٠٤ وَالْكَامِلُ ج ١ ص ٣٦ وَالتَّبَرُّ يُزَى ج ٤

ص ٩٤ وَفِي رَوَايَةِ الْآيَاتِ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ نَظَرٌ

وَمُسْتَنْبِحِ بَاتِ الصَّدَى يَسْتَتِيهِهُ

إِلَى كُلِّ صَوْتٍ فَهُوَ فِي الرَّحْلِ جَانِحٌ (١)

فَقُلْتُ لِأَهْلِي : مَا بُغَامٌ مَطِيَّةٌ ؟

وَسَارَ أَضَافَتُهُ الْكِلَابُ النُّوَاجِحُ (٢)

فَقَالُوا : غَرِيبٌ طَارِقٌ طَوَّحَتْ بِهِ

مَتُونُ الْفِيَا فِي وَالْخَطُوبُ الطَّوَائِحُ (٣)

فَقَمْتُ ، وَلَمْ أَجِئْهُ مَكَانِي ، وَلَمْ تَقُمْ

مَعَ النَّفْسِ عِلَّاتِ النَّفُوسِ الشَّحَائِحُ (٤)

(١) من عادة العرب أن ينفج طارق الليل نباح الكلاب لعل كلباً يسمعه فيجيبه . وفاعل ذلك هو المستنبح الذي يطلبُ بنباحه كالكلب أن يسمع نباحاً ، ويستتبه : استفعل من (تاه) . ويريد بذلك أن صدى صوته قد جعله حيران لا يدري أيسمع نباحاً أم يسمع صدى فلذلك بقي جانحاً في رحله لا يغادره خشية الضلال والهلكة

(٢) البغام : صوت الناقة الخفي حين تحن ، وقوله « وسار » النخ ، يقول إن كلابه لما سمعت صوت المستنبح أجابته فكانها هي التي أضافته (٣) الطوائح : المطوحات المهلكات ، وهو من النوادر كقوله تعالى « أرسلنا الرياح لواقح » وهي الملقحات

(٤) عِلَّاتِ النَّفُوسِ الشَّحَائِح : الأسباب التي تدعو إلى الشح ، والشحائح ضفة للعلات

وناديتُ شَيْبَلًا فاستجابَ ، ورُبَّما
 ضَمِنَّا قَرَى عَشْرٍ لِمَنْ لَا أَصَافِحُ^(١)
 فقام أبو ضَيْفٍ كَرِيمٌ ، كَأَنَّهُ
 - وقد جَدَّ - مِنْ فَرَطٍ الْفُكَاهَةِ مَازِحُ^(٢)
 إِلَى جِذْمٍ مَالٍ قَدْ نَهَكْنَا سَوَامَهُ
 وَأَعْرَاضُنَا فِيهِ بَوَاقٍ صَحَائِحُ^(٣)
 جَعَلْنَاهُ دُونَ الدَّمِّ ، حَتَّى كَأَنَّهُ
 - إِذَا عُدَّ مَالُ الْمُكْثَرِينَ - مَنَائِحُ^(٤)

(١) شَيْبَلٌ : هُوَ وَلَدُ الشَّاعِرِ . يَقُولُ : وَإِنَّا لَنُضَمِّنُ لِلضَّيْفِ لَا نَعْرِفُهُ
 ضِيَاةً عَشْرَ لَيَالٍ (٢) فقام أبو ضيف : يَعْنِي وَلَدَهُ شَيْبَلًا وَيَقُولُ هُوَ
 لِلضَّيْفِ بِمَنْزِلَةِ أَبِيهِ يَرْعَاهُ وَيَحُوطُهُ وَيُجَادِثُهُ وَيَمَازِحُهُ
 (٣) جِذْمُ الْمَالِ : الْأَصْلُ الَّذِي يَنْتَجِجُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَنَهَكَ الشَّيْءُ
 تَنَقَّصَهُ وَقَطَعَ مِنْهُ ، وَالسَّوَامُ وَالسَّائِمَةُ : مَا رَعَى مِنَ الْإِبِلِ فِي الْقُلُوتِ ، يَمْدَحُ
 نَفْسَهُ بِأَهْلَاكِ مَالِهِ وَإِبْلِهِ فِي قَرَى الضَّيْفِ لِيَبْقَى عَرْضُهُ سَلِيمًا صَحِيحًا لَمْ تَنْهَكْهُ
 أَلْسِنَةُ الطَّاعِنِينَ (٤) الْمَنِيحَةُ : الْعَطِيَّةُ وَالْجَمْعُ الْمَنَائِحُ . وَالْمَالُ : الْإِبِلُ .
 يَقُولُ : قَدْ جَعَلْنَا إِبِلَنَا الْقَلِيلَةَ فِدَاءً لَنَا مِنَ الدَّمِّ فَإِذَا عُدَّ أَصْحَابُ الْمَالِ
 الْكَثِيرِ مَا لَهُمْ مِنَ الْبَخْلِ وَالشُّحِّ كَانَ قَلِيلٌ مَا عِنْدَنَا مَبْذُولًا كَبْذَلِ الْعَطِيَّةِ
 الَّتِي تَكُونُ مِنْ فَضْلِ الْمَالِ

لنا حمدُ أربابِ المئينِ ، وما يرى
إلى يَتَنَّا مالٌ مع الليلِ رائحٌ
وأخذ هذا المعنى إسحاق بن إبراهيم الموصليُّ فقال :
عطائي ، عطاءُ الكثيرين تَكْرُمًا

ومالي - كما قد تعاملين - قليلٌ

وأخبرنا أبو أحمد ، عن الصولي ، عن الحسن بن يحيى قال
سمعت إسحاق يقول : أنشدتُ الرشيدَ شعرًا فلما بلغتُ إلى قولي :
وكيف أخافُ الفقرَ ، أو أحرَمُ الغني

ورأى أمير المؤمنين جميلٌ ؟

قال : لا ، كيف ! لله دَرٌّ أَيْبَاتٍ تجيءُ بها ما أحكمَ
أصولها وأحسنَ فصولها ، وأقلَّ فضولها . قلت : هذا الكلام
- والله - أحسنُ من شعري

والأبياتُ هي هذه :

وآمرةٍ بالبخلِ قلتُ لها : أقصرى ،

فذلك أمرٌ ما إليه سبيلٌ

أرى الناسَ خُلَّانَ الجواد ، ولا أرى

بخيلاً له في العالمين خليلٌ

وإني رأيت البخل يزري بأهله ؛

فأكرمت نفسي أن يقال : بخيلٌ

ومن خير حالاتِ الفتي - لو عامته -

إذا نال شيئاً أن يكونَ ينيلٌ

عطائي عطاء المكثرين تكرماً

ومالي - كما قد تعلمين - قليلٌ

وكيف أخافُ الفقر ، أو أُحرَمُ الغنى ،

ورأى أمير المؤمنين جميلٌ ؟

ومن عجيب ما يروى في هذا الباب أن الفرزدق دخل على

يزيد بن المهلب وهو يعذب في سجن الحجاج فأنشده :

أبا خالد ! صنعت خراسانُ بعدكم ؛

وقال ذوو الحاجات : أين يزيد ؟

فلا قطرتُ بالمرءِ بعدك قطرةً ،

ولا أخضرتُ بالمرءِ من بعدك عوداً^(١)

(١) رواية ابن خلكان : « فلا مطر المروان بعدك مطرة » . قال

المروان « تشية مرو إحداهما مرو الشاهجان وهي العظمى والآخرى مرو

الروذ وهي الصغرى وكلتاها مدينتان مشهورتان بخراسان » ج ١ ص ٣٥١

فما لعزير - بعد عزك - بهجة

وما لجواد - بعد جودك - جود

وكان يزيد قد أعدَّ مالا يُصانِع به الحجاج ليقصر من تعذيبه ، فقال لغلمانه : ادفَعُوا إليه المال ودَعُوا لِحِمِّي للحجاج يقطَّعه كيف يريد

وأعجب من هذا أن عمر بن عبيد الله بن معمر مرَّ بزنجي يأكل عند حائط وبين يديه كلب ، إذا أكل لقمةً طرح له لقمة . فقال له : أهذا الكلب كلبك ؟ قال : لا ، قال : فَلِمَ تُطْعِمُهُ مثل ما تأكل ؟ قال : إني أستحي من ذى عينين ينظر إلى ، أن استبدَّ بما كولٍ دونه . قال : أحرُّ أنت أم عبدٌ ؟ قال : عبد لبعض بنى عاصم ، فأتى عمرُ نَادِيَهُم فاشتراه واشترى الحائط ، ثم جاءه فقال : أَشَعَرْتُ^(١) أن الله قد أعتقك ؟ قال : الحمد لله وحده ، ولمن أعتقني

وكان يزيد قد ولى خراسان بعد أبيه المهلب بن أبي صفرة الأزدي ست سنين . ومن كلام يزيد قوله « ما يسرُّني أن أكفى أمور دنياي كلها ولى الدنيا بخذافيرها . فقيل له : ولم ؟ أيها الأمير . فقال : أكره عادة المعجز »

(١) شعرت : علمت

بعده . قال : وهذا الحائط لك ، قال : أشهدك أنه وقف على فقراء المدينة ، قال : ونحك ! تفعل هذا مع حاجتك ؟ قال : إني أستحي من الله أن يجود لي بشيء فأبخل به عليه .
والعرب تقول : « أَتَاكَ رَيَّانٌ بِلَبَنِهِ » معناه يعطى لغير كرم ، ولكن لكثرة ما عنده

ونحوه - وإن لم يكن منه - قول إبراهيم بن العباس (شعر) :
لَا تَمْدَحَنَّ ابْنَ سَهْلٍ إِنْ وَجَدْتَ لَهُ

فِعْلاً جَمِيلاً ، وَلَا تَعْذِلْ إِذَا رَزَمَ^(١)

فليس يمنع إبقاءً على نسب ،

وليس يعطي الذي يُعطيه مُعْتَزِماً

لَكِنَّهَا خَطَرَاتٌ مِنْ وَسَاوِسِهِ ...

يُعْطَى وَيَمْنَعُ : لَا بُخْلًا ، وَلَا كَرَمًا

وقال أشجع السلمي يمدح يحيى بن جعفر البرمكي بإعطاء

الكثير على الإقلال :

يُرُومُ الْمُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ

(١) هكذا بالأصل ولعلها « إذا أزمأ » أي أمسك وبخل

وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع
وليس بأوسعهم في الغنى ولكن معروفة أوسع
وليس للمعطي أن يمنع القليل استحياء من قِلَّتِه ، لأنَّ المنع
أقل منه ولا للمعطي أن يتسخطَّه ، فربَّ قليل سدَّ خلة
كبيرة ، وجبر فاقة عظيمة ، وربما يبلغ به الى كثير . ولولا ذلك
لم يكن للوصول اليه سبيل

وكتب ابن المعتز « لا تستقل شيئاً من زيادة الله إليك ،
فتنفّر نفيسها عنك . وقليل تترقى منه الى كثير ، خير من كثير
تنحط به الى قليل »

وقال ابن الرومي - أنشدناه أبو أحمد ، عن ابن المسيب ، عنه :
رأيت المظلَّ مبداناً طويلاً يروض طباعه فيه البخيل
فما هذا المطال ؟ - فدتك نفسي -

وباعك بالندي باع طويل
أظنك حين تقدر^(١) الى نوالا ، يقلُّ لديك لي منه الجزيل

وَيُعَوِّزُكَ الَّذِي تَرْضَى لِمَثَلِي ، وَان لَمْ يُعَوِّزِ الرَّأْيُ الْجَمِيلُ
 وَفِيمَا بَيْنَ مَطْلَمِكَ وَاخْتِلَالِي يَمُوتُ بِدَائِهِ الرَّجُلُ الْهَزِيلُ
 فَلَا تَقْدُرُ بِقَدْرِكَ لِي نَوَالًا وَلَا قَدْرِي فَتَحَقِّرَ مَا تُنِيلُ
 وَأَطْلِقْ مَا تَهْمُ بِهِ عَسَاهُ كَفَافِي ^(١) أَهْمَا الرَّجُلِ النَّبِيلُ
 وَإِلَّا فَالْسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّي نَبَتْ دَارٌ فَأَسْرَعَ بِي رَحِيلُ
 إِذَا ضَاقَتْ عَلَى أَمَلٍ بِلَادُهُ فَمَا سُدَّتْ عَلَى عَزَمٍ سَبِيلُ

وتقول العرب : « انَّ الرِّثِيَّةَ تَفْنَأُ الْغَضَبَ » ^(٢)

يجعلونه مثلاً لحسن موقع المعروف وان كان قليلاً . وأصله أن
 رجلاً غضب على قوم فأتاهم ليوقع بهم ، فسقوه رثيئة فسكن
 غضبه فكف عنهم

والرثيئة ابن حامض يصب عليه حليب

وأخبرنا أبو أحمد ، عن الجوهري ، عن زكريا ، عن

(١) في الاصل « كفافي » . والكفاف هو الذي لا يفضل عن الشيء .

ويكون بقدر الحاجة اليه

(٢) « وكلُّ ما كسرت حدته وأذهبت حرارته فقد فتنته . وكانت

في الاصل « مما تفتأ » والمثل مشهور وليس فيه « ممّا »

الاصمعيّ قال: ذكر أعرابي رجلاً فقال: ما رأيت رجلاً أعشقَ
للمعروف منه، ولا رأيت الرزق أبغضَ أحداً بغضه (١)
ومما يجري مع هذا ما أخبرنا به أبو أحمد عن الجلودي، عن
أحمد بن الفضل، عن عبد الوهاب، عن إبراهيم بن عبد الأعلى،
عن الحسين بن فهم، عن عمه قال: اشتهي صديقاً لي فرُوجاً
أطبخه له؛ فأكلت الجارية اللحم كله إلا لحم الصدر، ونحن
لا نعلم، فكتبت إليه:

طبخنا لك فرُوجاً	فطاف الأهل بالقدّر
ولم نقدّر على المنع	لقبح المنع في الذّكر
فآثرناك بالصدر	لأن الصدر للصدر

وهذا مثل ما تقدم من قولنا: «إن إعطاء القليل خير من
المنع، لأن المنع أقل منه»

ومثل ذلك، أن رجلاً اتخذ دعوة فجاءته الهدايا من كل

(١) يبغضه الرزق لأنه يفنيه بالعطاء ويهلكه بالبذل

وجه . وكان من أصدقائه رجل مملق^(١) فوجه إليه بجِرَابِ أَشْنَانٍ^(٢) وجِرَابِ مِلْحٍ وكتب إليه : « لو تَمَّتِ الْإِرَادَةُ بِحَسَبِ النِّيَّةِ ، وَمَلَكَتْنِي الْقُدْرَةُ بِسَطِ الْجِدَّةِ^(٣) ، لبدرت^(٤) السابقين إلى برِّك ، ولكنتُ إمامَ المتقدمين في إكرامِك . لكن البِضَاعَةَ قَعَدَتِ عَنِ الْهِمَّةِ ، وقصرت عن مساواة أهل الثُّرُوة . وكرهتُ أَنْ تَطْوِيَ صَحِيفَةً وَلَا يَكُونَ لِي فِيهَا ذِكْرٌ ، فوجهتُ بِالْمُبْتَدَأِ بِهِ لَطِيبِهِ وَيَمْنِهِ ، وبالمختوم به لَطَهَارَتِهِ وَنَظَافَتِهِ ، مصطبراً على أَلَمِ التَّقْصِيرِ . فَأَمَّا مَا يُنْوَى فَالْمَعْبَرُ عَنِّي بِهِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾

(١) من قولهم : أَمْلَقَ الرَّجُلُ : افتقر ، وأصل الإِمْلاق كثرة الانفاق ، ولما كان الجود الذي لا يمنع سبباً في الفقر سموا ما يكون عنه من الفقر باسمه .

(٢) الأشنان : حمض طيب الريح تغسل به الأيدي بعد الطعام .

(٣) يعني : لو كنت في سعة من المال .

(٤) بادرَ القومَ فبدرهم : سابقهم فسبقهم .

وشبيهه بهذا الخبر ما ذكره جعفر بن قدامة ، عن مَنَّة (١) البرمكية قالت : كانت لأم علي بنت الرايس جارية مغنية يقال لها مكر ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء ، وكان لها رفقاء من الكتاب ووجوه التجار ، وكان أبو يحيى الكنعني (٢) يعاشرها فافتصدت يوماً فأهدى لها رفقاؤها صنوف الهدايا ، وبعث اليها أبو يحيى بثلاث سلال محتومة ، فإذا سلة فيها ماش ومعه رقعة فيها : « الماش خيرٌ من لاش » (٣) ، وفي الأخرى عصافير بأجنحتها ، فلما فتحت طارت ، ومعها رقعة فيها : « ياسيدي أعثقتُ عنك هؤلاء المساكين ، ولو كان بدلها عبيداً لا اعتقتهم » وفتحت الأخرى فإذا هي فارغة ، وفيها رقعة مكتوب فيها :

(١) هي في الأصل الذي نطبع عنه « مية » بالياء وصوابها بالنون وقد ورد ذكرها في الأغاني طبعة دار الكتب ج ٤ ص ٣٣٢ ومختار الأغاني لابن منظور طبع السلفية ج ١ ص ٧٣ وهي جارية مغنية مقتدرة كانت للبرامكة (٢) لم نعرف صحة هذا الاسم

(٣) هذا مثل . والماش : قماش البيت . ومعنى المثل ما كان في البيت من قماش لا خطر له خيرٌ من بيت فارغ لاشيء فيه ، وخففت « لاشيء » الى « لاش » لازدواجها مع « ماش »

« يا مولاتي لو كان عندي شيءٌ لبعتُ اليك بشيء ، ولكن ليس عندي شيء فلم أبعث اليك بشيء » فضحكوا وبشوا اليه بنصيب وافر من كل ما أُهدي اليها فكتبت اليه أم علي : « أعطى الله عهداً إن لم تكن هديتك أملح من كل هدية وردت علينا » وكان أعرابي يأتي ابن عائشة^(١) في كل سنة فيصِّله بعشرة دنانير ، فجاء ذات مرة فأخبر بأنه مضيقٌ عليه ومدين ، فمثل بين يديه وقال : قد أخبروني بعُدرك وبما عليك من الدين ، والله ما قصدتك إلا وأنا على غاية الاضاقة ، وأنت تُعطى وأنا لا أُعطى ، ثم قال :

وقد خُبرتُ أنَّ عليك ديناً

فزد في رَقْمِ دينِكَ واقضِ ديني

فضحك ابن عائشة وقال له خذ هذه السجدة^(٢) - وهي من الخشب كانت في داره - فأخذها الأعرابي وباعها بثمانية دنانير فالصلة بالقليل ربما تقع موقعها بالجزيل ، ولَرَدُّ مصيبة حلَّت بالسائل والمسؤول

(١) لعله يعني محمد بن عائشة المغني (٢) لم نعرف وجهاً لهذه الكلمة

قال رجل : كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل
فسأله ، فلم يكن معه ما يعطيه ، فبكي ، فقلت : يا أبا محمد ما الذي
أبكاك ؟ قال : أي مصيبة أعظم من أن يأمل فيك رجل خيراً
فلا يصيبه ونحوه قول الشاعر :

أليس كبيراً أن تلم مائة ، وليس علينا في الحقوق معول
وقال آخر :

برى المرء - أحياناً ، إذا قلَّ ماله -

من الخير أبواباً فلا يستطيعها
وما إن به بخل ، ولكن ماله

يقصر عنها ، والغني يضيعها

وما ساد أحد قط ، ولا سار ذكره بشيء كإثاره على نفسه .

وقد مدح الله تعالى الانصار فقال : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

وما ذكر حاتم وكعب بن مامة الا يادي إلا بإيثارها

على أنفسهما

وأخبرنا أبو أحمد عن أبي بكر ، عن أبي حاتم ، عن أبي عبيدة قال : أجوادُ العرب ثلاثة ^(١) : — حاتمُ بنُ عبد الله الطائي ، وكعبُ بن مامة الإيادي ، وكلاهما أثر على نفسه وضرب بهما المثل ، وأجوادُ هَرَمُ بنُ سِنان المرِّي الذي يقول فيه زهير :

إنَّ البخيلَ مَلُومٌ حيثُ كانَ ، ولـ

يكنُّ الجوادَ - على علائِهِ - هَرَمُ
هو الجوادُ الذي يعطيك نائِلَهُ

عفوًّا ، ويُظلمُ أحيانًا فيظلمُ

وكان مما أثر به حاتم على نفسه ... أنه خرج في الشهر الحرام يطلب حاجةً ، فلما كان بأرض عَنزَةَ ^(٢) ناداه أسيرُهُم :
يا أَبَسَفَانَةَ ^(٣) ! أكلني الإيسارُ والقَمْلُ ... قال : ويلك ، والله ما أنا ببلاد قومي ، وقد نوَّهتَ باسمي ، ومالك متركٌ ، فساوم

(١) الأجواد : جمع جواد . وهو يعني بهم أجواد الجاهلية أما في الإسلام فهم كثير

(٢) قبيلة من العرب أبوها « عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار »

(٣) سفانة بنت حاتم يكنى بها

العَنْزَيْنِ فِشْتَرَاهُ وَخَلَّاهُ ، وَأَقَامَ فِي قِدِّهِ (١) حَتَّى أَتَى بِفِدَائِهِ .
فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ حِينَ صَافَنَ عَاصِمًا الْعَنْبَرِيَّ (٢) :
فَلَمَّا تَصَافَنَّا الْإِدَاوَةَ أَجْهَشْتُ
إِلَى غُضُونِ الْعَنْبَرِيِّ الْجِرَاضِمِ (٣)

(١) أقام حاتم في الاسر مكانه
(٢) من عادة العرب اذا قلَّ عندهم الماء في سفر يقتسمون الماء على حصة تُلْقَى في اناء فيسقى الرجل قدر ما يغمرها فذلك التّصافن
(٣) الاداوة اناء صغير يتخذ من جلدٍ يحمل فيه الماء . وأجهش الرجل تهيأ للبكاء . والغضون : مكاسر الجلد في الجبين . والجراضم : الأكل . كان الفرزدق في رقة وكان دليهم عاصم العنبري فضلَّ بهم في يدياء لأماء بها ، فلما ظمئوا وأرادوا اقتسام الماء جشم العنبري الأكل المضخم فأناله الفرزدق الماء لا إبقاءً عليه بل إبقاءً على القوم الذين في رفقته . وبعد هذا البيت :

فَجَاءَ بِجُلُودٍ لَهُ مِثْلُ رَأْسِهِ لَيْسَقِي عَلَيْهِ الْمَاءُ بَيْنَ الصَّرَائِمِ
وَبَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ الْبَيْتِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْعَسْكَرِيُّ ثَمَانِيَةُ أَيْيَاتٍ . وَلِذَلِكَ
تَجِدُ الْمَعْنَى غَيْرَ وَاضِحٍ . وَقَبْلَ الْبَيْتِ الثَّانِي :

فَأَثَرُهُ - لَمَّا رَأَيْتَ الَّذِي بِهِ - عَلَى الْقَوْمِ أَخْشَى لِحَقَاتِ الْمَلَاوِمِ
حَفَاطًا ، وَلَوْ أَنَّ الْإِدَاوَةَ تَشْتَرِي غَلَّتْ فَوْقَ أَثْمَانِ عِظَامِ الْمِفَارِمِ
عَلَى سَاعَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا الخ

عَلَى سَاعَةٍ .. لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا

- عَلَى جُودِهِ - ضَنْتَ بِهِ نَفْسُ حَاتِمٍ

وصحب كعب^١ رجلا من النمر بن قاسط في شهر ناجر^(١)

فتصافنا ماءهما ، فجعل النمرى يشرب نصيبه : فإذا أصاب كعباً

نصيبه قال : اسق أخاك النمرى ، فيؤثره على نفسه ويسقيه ،

حتى أضرب به العطش ، وأسرع السير حتى رُفِعَ له أعلام الماء

وقد غلبه العطش فقبل له : رد ، كعب ! فلم يقدر على الورود

فمات . فقال رجل من إباد يبكيه^(٢) :

مَا كَانَ مِنْ سُوقَةٍ أُسْقِيَ عَلَى ظَمًا

خمرًا بماءٍ إذا ناجودها برّدا^(٣)

والقصيدة عدّة أبياتها (٥٣) في هجاء هذا الدليل العنبري المضلّ ،

وهي في ديوانه برقم ٤٠٥

(١) ناجر أشدّ فصل الصيف حرّاً

(٢) نقل ابن برّى عن السيرافي أن البيتين لمامة الايادي أبي كعب

(٣) السُّوقَةُ : مَنْ دُونَ الْمَلِكِ مِنَ الرِّعِيَّةِ . والناجودُ : إناه الخمر

أو راووقها . وقوله : « إذا ناجودها برّدا » يعني إذا عزّت الخمر

وغلت أيام الشتاء

من ابن مامة كعب ثم عى به

زَوْ الْمَنِيَةِ إِلَّا حِرَّةً وَقَدَى (١)

ومما جاء في مدح القليل ما أنشدناه أبو أحمد، عن أبي بكر:

وإن قليلا يستر الوجه أن يرى

إلى الناس مبدؤلا ، لغير قليل

وقال زهير :

عَلَى مُكْثَرِهِمْ حَقٌّ مِنْ يَغْتَرِيهِمْ ،

وعند المقلين الساحة والبدل

فلم يخل فقيرا منهم ولا غنيا من بذل

وقريب من هذا المعنى ما أنشدناه أبو القاسم ، عن العقدي

عن أبي جعفر ، عن ابن الأعرابي :

وَلَا عِزُّنَا يَغْدُو عَلَى ظِلْمٍ غَيْرِنَا ، وَلَيْسَ عَلَيْنَا لِلظُّلَامَةِ مَذْهَبٌ
فَرِيحُ تِلَادِ الْحِلْمِ وَسَطُ بِيوتِنَا إِذَا حِلْمُ أَقْوَامٍ مِنَ النَّاسِ يَعْزُبُ

(١) عى به : رأينا أن أصلها عيَّاه بمعنى أعياه وعدَّاه بالباء لأنها

بمعنى برَّح به . والزو : القدر أو أحداث الموت . والحرة : حرارة

العطش والتهابه . وو قدى بفتح الحاء : تنوَّقد . وعندنا أن موقع الإلهنا

زيادة تفيد المبالغة في شدة العطش ولم يرد بها الاستثناء

ولا أطمح ابن العمِّ إن كان إخوتي

شهوداً ، وإخوان ابن عمي غيب ...

على سفر ، أو صادفهم منية

فأوحد منهم ظهره حين يغضب (١)

على كل حال قد قلتني عشيرتي :

على الفقر مني ، والغنى حين أترب (٢)

غنيت فلم أبخل على مقتربيهم

أشئ ، ولم أكذبهم حين أنكب

يعيش الفتى بالفقر يوماً ، وبالغنى ،

وكل - كأن لم يلقه - حين يذهب

وهذا مأخوذ من قول أبي كبير :

فإذا وذلك ليس إلا حينه وإذا مضى شيء كان لم يفعل

وأخذه آخر (٣) فقال :

(١) أوحد منهم ظهره ، أي بقي منفرداً لا يظهر له . يقال في الدعاء

« أوحد الله جانبه » أي أبقاه وحيداً لأعدائه

(٢) أترب الرجل أكثر ماله ، وترب قل ماله

(٣) هو جابر بن ثعلب الطائي ، وأبياته هذه في حماسة أبي تمام

كَأَنَّ الْفَتَى لَمْ يَعْرِ يَوْمًا إِذَا اكْتَسَى ،
 وَلَمْ يَكُ فِي بُؤْسٍ إِذَا بَاتَ لَيْلَةً
 يُنَاغِي غَزَا لَا فَاتَرَ الطَّرْفِ أَكْهَلًا (١)
 وَإِذَا رَضِيَ مِنْكَ بِالْقَلِيلِ فَلَمْ يَوْجِدْ عِنْدَكَ ، كَانَ الذَّمُّ بِكَ
 أَلِيْقًا ، وَاللَّوْمُ بِكَ أَعْلَقًا ، وَطَرِيقُ عَذْرُكَ أَضْيَقُ
 وَقَالَ آخِرُ :

وَلَيْسَ يَتِمُّ الْحِلْمُ لِلْمَرْءِ رَاضِيًا إِذَا كَانَ عِنْدَ السُّخْطِ لَا يَتَّحِلُّ
 كَمَا لَا يَتِمُّ الْجُودُ لِلْمَرْءِ مُوسِرًا إِذَا كَانَ عِنْدَ الْعُسْرِ لَا يَتَكَرَّمُ
 وَسَأَلَ ابْنُ الرُّومِيِّ رَجُلًا قَفِيزِيْنًا مِنْ حَنْطَةِ فَمْنَعِهِ ، فَقَالَ :
 سَأَلْتُ قَفِيزِيْنًا مِنْ حَنْطَةِ مُجِدَّتِ بَكْرٍ مِنَ الْمَنَعِ وَافٍ (٢)

(١) فتر الطرف سكن في لين . و المناغة في الاصل محادثة الصبي
 بما بهواه ويسره

(٢) القفيز : مكيال تواضع الناس عليه قديمًا . والكُرُّ : ستون قفيزًا ،
 فان ابن سيده : يكون الكيال المصري أربعين إردبًا

كَأَنِّي سَأَلْتُكَ حَبَّ الْقُلُوبِ

ب : ذاك الذي من وراء الشَّغافِ (١)

وقال أوس بن حجر :

مَنَعْتَ قَلِيلًا نَفْعُهُ ، وَحَرَمْتَنِي كَيْسِيرًا فَهَبْهَا بَيْعَةً لَا تُقَالُهَا
وَأَنشَدَنَا أَبُو أَحْمَدَ وَغَيْرُهُ لِبَعْضِهِمْ ، يَمْدَحُ رَجُلًا بِقَلَّةِ الْمَالِ
وَكَثْرَةِ النَّيْلِ :

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ بِكُلِّ أَرْضٍ إِذَا النَّيِّرَانِ جُلَّتِ الْقِنَاعَا (٢)
وَمَا إِنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ سَوَامًا ، وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا
وقال أشجع :

وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْغِنَى وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ
وقال آخر (٣) :

وَمَا الْجُودُ عَنْ فَقْرِ الرِّجَالِ وَلَا الْغِنَى ،
وَلَكِنَّهُ خِيَمُ الرِّجَالِ وَخَيْرُهَا (٤)

(١) الشَّغاف : غشاء القلب

(٢) جُلَّتِ الْقِنَاعَا : سُتِرَ ضَوْؤُهَا خَوْفُ أَنْ يَرَاهَا طَارِقٌ فَيَحْضُرُهَا

(٣) هو الحسين بن مطير الاسدي

(٤) الايات على هذا الترتيب غير متشاكلة الاصول ، وصواب

فَنَفْسَكَ أَكْرَمَ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ،
 فَمَا لَكَ نَفْسٌ بَعْدَهَا تَسْتَعِيرُهَا
 وَقَدْ تَخَدَّعَ الدُّنْيَا ، فَيَمْسِي غَنِيَّهَا
 فَقِيرًا ، وَيَغْنَى بَعْدَ بُؤْسٍ فَقِيرُهَا
 وَكَمْ طَامِعٌ فِي حَاجَةٍ لَا يَنَالُهَا ، وَكَمْ آيِسٌ مِنْهَا أَتَاهُ بِشِيرُهَا
 اعْلَمْ أَدَامَ اللَّهُ عَزَّكَ أَنْ الْيَسِيرَ تَعْطِيهِ عَفْوًا ، وَتَبْذُلُهُ صَفْوًا
 مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ يُغِيضُ مَاءَهُ ، وَيَكْدِرُ هَوَاءَهُ ، يَقُومُ مَقَامَ الْكَثِيرِ
 وَيَنْوُبُ مَنَابَّ الْجَزِيلِ ؛ لِأَنَّ الْمَنَعَ خَيْرٌ مِنَ الْمَطْلِ ، وَيَسِيرُ النَّيْلِ
 خَيْرٌ مِنَ الْمَنَعِ - عَلَى مَا قَدَّمْنَاهُ قَبْلَ - وَقَدْ قَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ :
 مِنَ الْخَفِيفِ تَطْفِيفُ النَّوَالِ وَمَطْلُهُ ،
 فَعَجَلٌ خَسِيسٌ ، أَوْ فَاجِلٌ مُوَفَّرٌ

انشادها أن تضع البيت الثالث بعد البيت الاول ثم تتبعه بقوله :
 وكائن ترى من حال دنيا تغيّرت وحال صفا بعد أكرار غديرها
 ومن طامع في حاجة ... الخ
 ومن يتبع ما يعجب النفس لم يزل مطيعاً لها في فعل شيء يضرها
 فنفسك أكرم ... الخ
 والخليم : الشيمة والخلق . والخير : الاصل

فَكُن نَخْلَةً تَلْوِي وَتُسْنِي عَطَاءَهَا ؛

وإِلَّا فَكُن عَفْصًا أَقْلً وَأَيْسَرًا (١)

وأخبرنا أبو أحمد عن الصولي ، عن القاسم بن اسماعيل عن
العطوي ، عن يحيى بن أكرم قال : دخلت على المأمون وبين
يديه طعام في طبق فدعاني إليه - وكان لهما باردا قليلا - تخاف
أن أستقله فقال من الشعر (له) :

اعْرِضْ طَعَامَكَ وَابْذُلْهُ لِمَنْ دَخَلَ ،

وَاحْلِفْ عَلَى مَنْ أَتَى : وَاشْكُرْ لِمَنْ أَكَلَ

وَلَا تَكُن سَابِرِيَّ الْعَرَضِ مُحْتَشِمًا

من القليل ، فلست الدهر محتفلا (٢)

وفي الحديث « خير الصدقة جهد المقل إلى فقير في السر »

(١) يقول : كن كالنخلة تماطل في حملها ثم تكبر من فاكهتها ،

فإن لم تكن فكن كالعفص يعطيك على يسر غير مماطل شيئا قليلا

(٢) في المثل « عرض سابري » يقوله من يعرض عليه الشيء عرضا

لا يبالغ فيه لأن السابري - وهو من الثياب أرقها - من أجود الثياب

يرغب فيه بأدنى عرض . قوله « فلست الدهر محتفلا » يقول فانك

لست طول أيامك غنيا حافل المال

وقد علمت - أدام الله عزك - أن الوصف بكرم النفس ،
وسعة الصدر ، وسماحة الكف ؛ من أنفس ما يراد ، وأجل
ما يرتاد . ومن رزقه بإثالة قليل لا يجحف به ، فقد أوتي الحظ
الجسيم ، وسيق إليه المتجر الربيع . والشكر القليل ثمن النوال
الجزيل ، فإذا رزقت كثير الشكر على قليل النيل ، فاعلم
بأنك مسعود

وأنشد أبو تمام في قريب من هذا المعنى :

ومستنبح قال الصدى مثل قوله ،

حَضَاتُ لَهُ نَاراً لَهَا حَطَبٌ جَزَلٌ (١)

(حَضَاتُ النار فَحَضَاتُ أَيْ أَلْهَبَتْهَا فَالْتَهَبَتْ ، وقال ابن

دريد حَضَوْتُ بغير همز بمعنى حَضَاتُ ، وقال غيره ويقال حَضَى

الرجل يَحْضَى (٢) إذا حرص وشره)

(١) المستنبح مضي معناه في ص ١٩ يعني به الضعيف حين يجيبه

صداه على عوائه كعواء الكلب

(٢) لم أجد من ذكر هذا الحرف من أصحاب الأئمة إلا ابن

سيده في المخصص في باب الحرص والشره ج ٣ ص ٦٨ قال : هو يلا ف

ويلبز ويخضم ويحضى ويوجز ويلهز كلها في الشره ، ولها وجه وهو

التسهيل وليست من مادة غير « حضا » وهي استعارة ، كقولهم قس رجرجه

وقمتُ إليه مُسرِعاً فغَنِمْتُهُ ،
فأوسعني حمداً ، وأوسعته قرى . وأرخص بحمد كان كاسبه الأكلُ
وأخبرنا أبو أحمد ، عن ابن دريد ، عن أبي معاذ خلف بن
أحمد المؤدّب ، عن المازني ، عن أبي عبيدة قال : كان بالبصرة
رجل من موالى بني سعد يقال له نُبَيْتٌ ، وكان صاحب صلاة
بالليل ، وكان الأعراب ينزلون عليه : فنزل عليه قوم ولم يُعَشِّهم
وقام يُصَلِّي إلى الصباح ، فقال رجل منهم :

لَخَبْرٌ نُبَيْتٌ وعليه لحمٌ أحبُّ إلىَّ من صوت القرآن
تَبَيْتٌ تُدْهِدُهُ القرآن حولى كَأَنَّكَ عِنْدَ رَأْسِي عَقْرَبَانٌ (١)

فذكر أن للطعام مكاناً على قَلْبِهِ ، ونزارة قيمته . وليس
السَّخَاءُ بالكثير بأحمد من السَّخَاءِ بالقليل إذا وافق الحاجة .
وقد قيل : « خيرُ السَّخَاءِ ما وافق الحاجة » ، ولم يشترط فيه
الكثرة والقلة ، وقيل :

وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلِي بِمَا لَا أَنَالُهُ ، وَقَلَّةٌ مَاقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحٌ
وأخبرنا أبو القاسم بن شيران ، عن عبد الرحمن بن جعفر

(١) المقربان : ذكر المقرّب . وفي الشعر إقواء . وهو كلامُ أعرابيٍّ
جافٍ جائعٍ

عن الغلابي ، عن عيسى بن يزيد ، عن موسى بن عقبة ، عن
مِقْسَم مولى ابن عباس . (ح) وعن الغلابي عن مُطَرِّف ،
عن ابن دارة . (ح) وعن الغلابي عن عبد الله بن الضحّاك ،
عن هشام بن معاوية والهيثم بن عدي ؛ عن الحسن
قالوا : وفد عبيد الله بن العباس على معاوية ؛ فلما كان ببعض
الطريق أصابته السماء فأمّ أبياتاً من الشعر ؛ وإذا أعرابي قد
قام إليه فلما رأى هيئته وبهائه - وكان من أحسن الناس شارة
وأحسنهم هيئة - قال الأعرابي لامرأته : إن كان هذا من قرّيش
فهو من بني هاشم ؛ وإن كان من اليمن فهو من بني آكل المرار^(١) .
فأنزله ، وذلك في الليل ، فقام الأعرابي إلى عنيزة له يذبها
فجاذبته امرأته وقالت : أكل الدهر مالاً وشربه ، ولم يبق لك
ولبنانك إلا هذه العنيزة تضع درة كمنخة عرقوب^(٢) ، ثم

(١) آكل المرار هو حُجر جدّ امرئ القيس ، وبنو آكل المرار

سادة اليمن وملوكها

(٢) الدرة في أصلها اللبن الكثير وتستعمل للقليل تهكماً . والمخة

ما يكون في العظم من النقي ، وعرقوب الدابة من رجلها بمنزلة الركبة من
يدها . والعرقوب أضنّ العظام بالنقي (المخ)

تريد أن تفجعهم بها ؟ قال : والله لا ذبحنَّها . فقالت : والله ،
إذا لا يتركك بناؤك ، قال : والله ؛ لَمَوْتُ خَيْرٌ مِنَ اللُّؤْم ...
[ثم] قال ؛ وعبيد الله يسمع :

قرينتي ^(١) ، لا توقظي بنية ؛ إن توقظيها تنتحب عليَّ ^(٢)
وتنزع الشفرة من يديَّ أبغض بهذا وبها إليَّ
ثم ذبح الشاة وأضرَم النار ، وجعل يقطع من أطايبها
ويلقيه على النار ، ثم قرَّبه إلى عبيد الله بن العباس ومن معه ،
فجعل عبيد الله يأكل ويحدثه في خلال ذلك بما يليه ويضحكه ،
حتى إذا أصبح وانجلى السحاب وهم بالرحيل قال لمقسم : كم
معك من نفقتك ؟ قال : خمسمائة دينار ، قال : ألقها إلى الشيخ ،
قال : ما تريد إلا أن تسأل الناس في طريقك ؛ إن هدا برضيه
عشر ماسميت . وتأتى معاوية ولا تدري علام توافقه ^(٣) ؟ قال :
ويحك ، إنا نزلنا على هذا وما يملك إلا هذه الشاة ، نخرج لنا
من دُنياه كلها ، ونحن نُعطيه بعض ما نملكه فهو أجود منا ،
قال : فألقاها إليه وارتحل ، فأتى معاوية فقضى حوائجه ،

(١) في الاصل « قرينة »

(٢) تنتحب عليه : تشتم في مقاومته ومنافرتة (٣) أى تجده

فلما انصرف قال لمقسم : أنظر ما حال صاحبنا . فعَدَلَ إليه فاذا
إِبِلٌ وشاءٌ وحالٌ حسنة ؛ فلما بَصُرَ الأعرابي بعبيد الله أَكَبَّ
على أطرافه يُقَبِّلُها ثم قال : بأبي أنت وأمي ؛ قد مدحتك ولا
أدري والله من أيِّ خَلْقِ الله أنت . وأنشده :
تَوَسَّيْتُهُ لِمَا رَأَيْتُ مَهَابَةً

عليه ؛ وقلتُ المرءُ من آلِ هاشمٍ
وإِلَّا ؛ فمن آلِ المُرَّارِ فَإِنَّهُمْ
ملوكٌ ، وأبناءُ الملوكِ الأَكَّارِ

(قال الشيخ أبو هلال : ثم ذكر أبياتاً رديئة اللفظ والوصف
أظنها من عمل ابن دأب ، فانه كان عَمُولاً لا مثالها فيما يرويه من
الاحاديث) فقال عبيد الله : أصبت ؛ أنا من وَلَدِ هاشم ؛ وقد
وَلَدَنِي آكلُ المُرَّارِ^(١) . فبلغ معاوية ذلك فقال : لِلَّهِ دَرُّ عبيد الله
من أيِّ بَيْضَةِ خَرَجَ ، وفي أيِّ عِشٍّ دَرَجَ ؛ هذه والله من فعَالِ
عُبَيْدِ اللَّهِ مُعَلِّمِ الجود ؛ وهو والله كما قال الخطيئة :
أولئك قومٌ ، ان بنوا أحسنوا البنا

وإن عاهدوا أوفوا ، وإن عَقَدُوا شَدُّوا

(١) لأن أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية

وإن كانت النعماء فيهم جزوا بها ،
وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا

وقال بعض الحكماء : « ذلل أخلاقك للمحاسن ، وقدها
للمحامد ، وعلمها المكارم ، وعودها الجميل والايثار على النفس
فيما تحمد غيبه ^(١) ولا تذاق الناس وزناً بوزن ^(٢) وتكرم بالغنى
عن الاستقصاء ، وعظم قدرك بالتغافل عن دنى الأمور ، وأمسك
رَمَقَ الضعيف بالمعونة ، وصل من رغب إليك بمجاهدك - إن
عجزت عما رجاه عندك ، ولا تكن بحثاً عما غاب عنك فيكثر
عناؤك ، وتحفظ من الكذب فإنه أسقط الأخلاق للأقدار ،
وهو نوع من الفحش ، وضرب من الدناءة ، وأصله من استعداد
التمنى ^(٣) ، وهو أضغاث فكر الحمقى ، فإذا استحك في الضمير
بتسويل النفس الضعيفة جاشت ، فغلى على اللسان ، كما يفور الماء

(١) الغب : العاقبة

(٢) المداقة : التشدد في النقص والزيادة كفعل التجار

(٣) هكذا الأصل ولعل المراد أن أصل الكذب هو تمنى الرجل
أمراً يحمله على الكذب وتسول له النفس هذه الأمانى حتى تستحكم
فيها . والاشبه أن تكون « من استعداد التمنى »

في الاناء إذا احتدمت تحته النار . واعلم أنه أغلب شيء على صاحبه ، وأشدّه تمكناً منه ، وأحرى أن لا ينزع منه بحيلة ، وذلك لضروراته وطول صحبة العادة له

وقيل لبعض الحكماء : ما الشح ؟ قال : أن ترى إعطاء القليل سرفاً ، والانفاق في الحق تلفاً

ومما يرغب في الاحسان قول بعض الحكماء لأصحابه :
اعلموا أن كل يوم يمر بكم يحمل ما يثبت فيه من حسن وقبيح ، ثم يمضي فلا يعود ؛ فإن قدرتم أن تخطوا في كل يوم مكرمة ، وتثبتوا فيه حسنة تبتهجوا بذكره ولو بعد حين ، فلا تؤخروا ذلك فتغبنوا حظكم من يومكم ، فإن الأيام صحائف ، فخلدوا فيها الجميل ؛ وقد رأيتم حفظها لما استودعت من المحامد وأفعال الكرام في قديم الدهر وأول الزمان ، ثم لم يدرس^(١) ذلك مع ذهاب القرون ، ولا ينسى على حال ؛ وما حوت من العار لا يمحوه الآخر عن الأول

وقال بعض الحكماء : بإزالة الفكر يستدرك الرأي المصيب ، وبحسن التاني تسهل المطالب ، وبين كنف المعاشرة

(١) لم يذهب ولم يبل

تَدُومُ الْمَوَدَّةُ ، وَبِخَفَاضِ الْجَانِبِ تَأْنَسُ النُّفُوسُ ؛ وَبِسَعَةِ خُلُقِ
 الْمَرْءِ يَطْيِبُ عَيْشُهُ ، وَبِكَثْرَةِ الصَّمَتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ ، وَبِعَدْلِ
 الْمَنْطِقِ تَجِبُ الْجَلَالَةُ ؛ وَبِالنَّصْفَةِ يَكْثُرُ الْوَاصِلُونَ ، وَبِالْإِفْضَالِ
 تَعْظُمُ الْأَقْدَارُ ، وَبِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ ، وَبِصَالِحِ الْأَخْلَاقِ تَزْكُو
 الْأَعْمَالُ ، وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَجِبُ السُّؤْدُودُ ، وَبِالسَّيْرِ الْعَادِلَةِ يَقْهَرُ
 الْمَنَاوِي ، وَبِالْحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ أَنْصَارُكَ عَلَيْهِ ، وَبِالرِّفْقِ
 وَالتَّوَدُّدِ تَسْتَفِيدُ مَحَبَّةَ الْقُلُوبِ وَبِحَسَنِ اللَّقَاءِ يَأْلَفُكَ الثَّنَاءُ الْجَمِيلُ ،
 وَبِإِثَارِكَ عَلَى نَفْسِكَ تَسْتَحِقُّ اسْمَ الْكَرَمِ ، وَبِالْصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ
 تَكُونُ لِلنَّاسِ رِضًى ، وَبِنَفْيِ الْعُجْبِ تَأْمَنُ مَقْتِ أُولَى الْأَلْبَابِ ،
 وَبِتَرْكِ مَا لَا يَعْنِيكَ مِنَ الْأُمُورِ يَتِمُّ لَكَ الْفَضْلُ ، وَبِمَنْ رَضِيَ
 لِلنَّاسِ بِالْمَسَاحَةِ دَامَ اسْتِمْتَاعُهُ بِهِمْ

ومما يجري مع ذلك — وان لم يكن منه — قول بعض
 الحكماء : مَا أَخْلَقَ الْأَعْرَاضَ ، وَلَا أَذَلَّ الْأَقْدَارَ مِثْلُ نَيْلِ مُمْتَنِّ
 بِهِ ، وَاسْتِطَالَةِ مُنْعَمٍ بِفَضْلِهِ . وَلَفَقْدُ السَّعَةِ — مَعَ تَزَهُدِ النَّفْسِ —
 أَغْنَى مِنْ امْتِنَانِ عِرْضِكَ لِمَنْ يَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ نَيْلِهِ لَكَ ، وَيَسْتَقِلُّ
 مَا بَدَّلْتَ لَهُ مِنْ شُكْرِكَ

ونحوه : كَافِيَ الْمَعْرُوفِ وَإِنْ جَلَّ ، وَاشْكُرْهُ وَإِنْ قَلَّ ،

وإذا أصابتك شدة فاذكر أن ما بعدَهَا أشدُّ منها وَأَفْظَعُ ، فإن ذلك يهَوِّنُ عليك شدةَ بلائِهَا ، ويتَحَمَّلُ عنكَ ثِقَلَ أعبائها

قال الشيخ أبو هلال : وقد علمنا أن المرءَ وإن مَلَكَ الدنيا بِمَحْذَافِيرِهَا لم ينتفع منها إلا بِقَدَرِ الحاجة ، ولا وجهَ لِتَسْخِطِهِ القليلَ وهو حَظُّهُ ، وتَطَلُّعُهُ إِلَى الكثيرِ وهو فَضْلُهُ ...

فمن جَيِّدٍ ما روى في فَضْلِ الإِعْطَاءِ عَلَى العُسْرِ : أن رجلاً دخل على المنصور فقربَ به شِمَّ أمرٍ بِإِعْطَائِهِ عشرةَ آلافِ درهمٍ ، فَحَمَلَتْ معه ، وَخَطَا خُطُواتٍ مُنْصَرِفًا فَرَدَّه وأمر له بِمِثْلِهَا ، فَقَبَضَهَا ، وَخَطَا خُطُواتٍ مُوَلِّيًا فَرَدَّه وأمر له بِمِثْلِ هَذَا أيضًا ، فلما انصرف قال : لقد أُرَانِي وأنا هَارِبٌ من بنى أُمِيَّةَ ، وقد نادى منادِيهم بِبراءَةِ الذِّمَّةِ مِمَّنْ وَجِدَ مِنِّي فِي بِلَادِهِمْ ، فَأَرَدْتُ الخُرُوجَ مِنَ الكُوفَةِ فِي الهَاجِرَةِ ^(١) فَدُفِعْتُ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ وَهُوَ يَمْخُذُ النِّعَالَ فَقَالَ لِي : لَعَلَّكَ مِنْ هَذِهِ الْفِرْقَةِ الْمَهْجُورَةِ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، فَدَفَعَ إِلَيَّ شِقَّ دَرَاهِمٍ كَانَ مَعَهُ ، وَلَمَّا وَلَّيْتُ رَدَّنِي وَأَعْطَانِي أَرْغِفَةً كَانَتْ أَعْدُّهَا لِعِشَائِهِ ، وَلَمَّا انْصَرَفْتُ رَدَّنِي وَدَفَعَ إِلَيَّ

(١) أَشَدُّ الْيَوْمِ حَرًّا وَقَيْظًا

زَوْجِي نَعَالٍ كَانَتْ لَهُ وَكُنْتُ حَافِيَا ، فَوَقَعَ مِنِّي مَوْقِعًا مَحْمُودًا
فَانصَرَفْتُ وَلَقِيْتَهُ الْيَوْمَ فَفَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ ، عَلَى عِلْمٍ مِنِّي أَنَّهُ كَانَ
فِي قَلِيلٍ مَا أُعْطَانِيهِ أَجُودُ مِنِّي فِي كَثِيرٍ مَا أُعْطِيْتُهُ

ومما يجري مع ذلك - وإن لم يكن منه - قول بعض الحكماء:
الْمُقِلُّ السَّخِيَّ غَنِيٌّ بِجَمِيلِ الذِّكْرِ ، وَالْبَخِيلُ الْمَكْثَرُ فَقِيرٌ بِسُوءِ
الذِّكْرِ ، وَخَمُولُ الذِّكْرِ أَحْمَدُ مِنَ الذِّكْرِ الذَّمِيمِ

ومما يجري مع ذلك ما أخبرنا به أبو أحمد ، عن أبي بكر ،
عن أبي حاتم قال : حضرت بعض ولاة البصرة - ولم يُسمَّه -
وكان جبَّاراً فسمعت رجلاً يقول في مجلسه : الأتباع يؤنسهم
البشر ، ويوحشهم الأزورار ، ويلئمهم لين الجانب ، ويفرقهم
عنف المعاشرة . وازدحام الآمال لديك ، نعمة من الله عليك ،
عقابل النعمة بحسن المجاورة تستديم وإردها ، وتستدع نافرهما
قال : فما زلت أعرف موقع هذا الكلام من ذلك الوالي حتى
افترقنا

وإذا كان البشر - أصلحك الله - يصلح لتألف القلوب ،
فالنيل وإن كان قليلاً يصلح لها ، فليس ينبغي أن يستحي أحد

من بذله ، ولا يستصغر أحدٌ أخذه ، فإنَّ قليل النِّفع كثيرٌ إذا قيسَ بفقدِه . وإذا عرَّفت المنفعةَ في تفاريق العصا^(١) مع قلائبها ونزارة قيمتها ، علمت أن نزر المنافع جزلٌ في بعض المواضع . وقد علمت أن حاتمًا وكعبًا وهرمًا لم يُجعلوا أمثالًا في الجود لعِظَم عطياتهم في القدر ، لأن الواحدَ منهم إنما كان يقرى صيفًا ، أو يهبُ بعيرًا ، أو عددًا من الشئ قليلًا ، ولكن ذهبَ صيتهم في السماح ، وبعد ذكْرهم في الجود ، لانهم كانوا يُعطون وهم محتاجون ، ويُنيلون وهم مُحتملون^(٢) . وقد عرفت أن كعبًا إنما رُزقَ هذا الاسمَ الكبيرَ في الجود بما آثر صاحبه ، ورُزقَه حاتمٌ بإنهابه ماله^(٣) ، ولم يكن بالعكرِ الدَّثر^(٤) ولكن

(١) تفاريق العصا : ما تكسّر منها وتفرّق ، وذلك فيما حكى ابن الأعرابي أن العصا تُكسّر فيتخذ منها ساجور (وهي الخشبةُ توضع في عنق الكلب) ، فاذا كسر الساجور اتخذت منه الأوتاء ، فاذا كسر الوتد اتخذت منه التوادي تصرُّ بها اخلاف الناقة (٢) المُحتلّ : الفقير المعدم المحتاج . من الخلّة بالفتح وهي الحاجة والفقر (٣) الانهاب أن تعرض الشيء وتبيعه لمن شاء أن يأخذ منه ، وهذا الشيء يُهب

(٤) العكر : مافوق خمسمائة من الابل ، ويعنى بها هنا الابل من غير عدّه ، والدَّثر : الكثير

قَصْدًا أَوْ قَلِيلًا نَزْرًا ، وَأَنْ هَرِمًا أَعْطَى زُهَيْرًا رَوَاحِلَ
وَنِيَابًا تَقِلُّ قِيَمَتَهَا وَلَا يَعْظُمُ مَقْدَارُهَا ، وَكَانَ عَطَاءُ الرَّشِيدِ
وَالْبِرَامِكَةِ وَالْمَأْمُونِ وَالْأَمِينِ فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ
مَا أَعْطَاهُ أَوْلَئِكَ فِي جَمِيعِ أَيَّامِهِمْ ، وَلَمْ يُضْرَبْ بِوَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ
الْمِثْلُ كَمَا ضُرِبَ بِأَوْلَئِكَ . فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا اسْتَحْسَنُوا
مِنْهُمْ بِذَلَمِهِمْ مَعَ ضَيْقِ أَحْوَالِهِمْ ، وَقِلَّةِ ذَاتِ أَيْدِيهِمْ ؛ فَجَعَلُوهُمْ
أَمْثَالًا مَضْرُوبَةً لِكُلِّ مَنْ اسْتَغْرَبُوا فَعَلَهُ ، وَاسْتَبَدَّعُوا صَنْيَعَهُ
وَفِي أَخْبَارِ حَاتِمٍ : أَنَّ جَارِيَةً جَاءَتْهُ فِي لَيْلَةٍ شَانِيَةٍ فَقَالَتْ :
جِئْتُكَ - يَا أَبَا سَفَّانَةَ - مِنْ عِنْدِ صَبِيَّةٍ لَهُمْ ضُغَاءٌ^(١) مِنْ الْجُوعِ ،
فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا شُبُعَيْنَهُمْ ، فَتَعَجَّبَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ قَوْلِهِ لِعَامِهَا أَنَّهُ
لَا شَيْءَ عِنْدَهُ ، فَقَامَ إِلَى فَرَسِهِ فَذَبَحَهَا وَأَوْقَدَ ، فَجَعَلَ يَكَبِّبُ لَهَا
اللَّحْمَ^(٢) حَتَّى اكْتَفَتْ وَاكْتَفَى أَوْلَادُهَا ، ثُمَّ قَسَمَ بِقِيَّتِهِ وَلَمْ يَذْخَرْ
لِعِيَالِهِ شَيْئًا

(١) الضغاء أصله : صياح الذئب والتعلب وغيرها ثم كثر حتى

قيل للإنسان إذا شقَّ عليه فاستغاث أو بكى بصوت ذليل

(٢) يعمل ككأبا وهو اللحم يُثْلَى أو نوع من ذلك يسمونه الطَّبَّاهجة

(معرب عن الفارسية)

فيمثل هذا كان يبعد ذكر جوده ، ومبْلَغ ما يجود به
قَصْدٌ . واعطى غيره الكثير وأعطى من الذِّكر القليل
ولقد حدَّث محمد بن صالح بن داود قال : ركبنا مع عمي
- يعقوب بن داود - الى يحيى بن خالد بن برمك ، قال : فكلَّمه
في حوائج للناس تبلغ ثلاثة آلاف درهم فقضّاها كلّها ، ثم قال :
له : قد رأيت قِلَّةَ وفاء الناس لك على كثرة معروفتك عندهم ؛
فلو سألت لنفسك ! فأبى أن يسأل إلاّ لهم ، وسأله أن يسكنه
مكة ففعل ، وأجرى عليه في كل سنة خمسمائة ألف درهم سوى
ما حمله اليه من الطعام من مصر

وأخبرنا أبو أحمد : عن الصولي ، عن [محمد بن (١)] القاسم
ابن خلاد قال : حدثني محمد بن عمرو قال : خرج كَوْثَرٌ - خادم
الامين محمد - ليرى الحرب ، فأصابته رجمة في وجهه فجلس
يبكي ، فوجهه محمد من جاء به وجعل يمسح الدَّمع عن وجهه ،
ثم قال :

(١) هذا التصحيح في السند من تاريخ بغداد ج ٣ ص ٣٣٩ وفيه

ضَرَبُوا قُرَّةَ عَيْنِي وَلَا أَجْلِي ضَرَبُوهُ
أَخَذَ اللَّهُ لِقَلْبِي مِنْ أَنْاسٍ أَحْرَقُوهُ

وأراد الزيادة عليها فلم يُؤَاكِهِ طَبْعُهُ ، فقال للفضل بن
الربيع : مَنْ ههنا من الشعراء ؟ قال : الشاعر عبد الله بن أيوب
التميمي . فقال : على به . فلما دخل أنشده البيتين وقال : قل
عليهما . فقال :

مَا لِمَنْ أَهْوَى شَبِيهِهُ فَبِهِ الدُّنْيَا تَتَّبِعُهُ
وَصَلَّهِ حُلُوٌّ وَلَكِنْ هَجَرَهُ مَرَّةً كَرِيهَةً
مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ الْفَضْلَ عَلَيْهِمْ حَسَدُوهُ
مِثْلَ مَا قَدْ حَسَدَ الْـ قَائِمَ بِالْمُلْكِ أَخُوهُ (١)

فقال محمد : هذا والله خير مما أردت ، بحياتي عليك يا عباسي
إلا نظرت ، فإن كان جاء على الظاهر ملأت أحمال ظهري دراهم ،
وإن جاء في زورق ملأته له . فأوقر له ثلاثة أبغل دراهم
وغناه ليلة إبراهيم بن المهدي :

يَا أَمِينَ اللَّهِ ! عِشْ أَبَدًا ، دُمَّ عَلَى الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ

أَنْتَ تَبْقَى وَالْفَنَاءُ لَنَا ، فَإِذَا أَفْنَيْتَنَا فَكُنْ

فقام من مجلسه وأكبَّ عليه وقبَّلَ رأسه ، فقام ابراهيم فقبَّلَ أسفلَ رجليه وما وَطِئَتْهُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَسَاطِ ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثَةِ آلَافِ دِينَارٍ ، فَقَالَ اِبْرَاهِيمُ : يَا سَيِّدِي ! قَدْ أَجَزْتَنِي إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ بَعِشْرِينَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، قَالَ : وَهَلْ هِيَ إِلَّا خَرَاجُ بَعْضِ الْكُؤُورِ^(١) ؟

وَقَالَ يَوْمًا لِبَعْضِ غُلَمَائِهِ : وَيْحَكَ ، أَمَا تَغْسِلُ ثِيَابَكَ ، قُمْ وَخُذْ ثَلَاثِينَ بَدْرَةً^(٢) وَاغْسِلْ بِهَا ثِيَابَكَ ، فَذَهَبَ وَقَبَضَهَا وَرَأَى رَجُلًا لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ رَوَّيَا أَيَّامَ الْهَادِي فَأَخْبَرَهُ ، فَخَافَ يَحْيَى أَنْ يَكُونَ دُسٌّ عَلَيْهِ فَاَنْتَهَرَهُ وَتَوَعَّدَهُ ، فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ الرَّشِيدُ دَخَلَ إِلَيْهِ ، وَكَتَبَ إِلَى بَعْضِ الْعُمَّالِ فَدَفَعَ إِلَيْهِ خَمْسَمِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ

وَسَأَلَ يَحْيَى مُؤَدِّبَ ابْنِهِ اِبْرَاهِيمَ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ : تَعَلَّمَ كَذًا ، وَحَفِظَ كَذًا ، وَاتَّخَذَ لَهُ مِنَ الضِّيَاعِ كَذًا . قَالَ : لِمَ أَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا فَقَالَ : عَمَّ يَسْأَلُ الْوَزِيرُ ؟ قَالَ : اتَّخَذْتَ لَهُ مِثْنًا فِي أَعْنَاقِ الرِّجَالِ ؟

(١) جمع كورة : وهى المدينة أو الصقع

(٢) البدره : كيس يكون فيه قدر معين من المال

قال : لا ؛ قال : بئس الخليل أنت . فأمر بحمل خمسمائة ألف درهم إليه ليُفرَّقها عنه في الناس . قال : فوالله لقد فرَّقنا في أقوام ، ما ندري من هم .

وكان محمد بن خالد بن برمك ما يستام عليه سائِم^(١) إلا حبله ، ونهى وكلاءه عن الميكاس^(٢) ؛ وكان الجدوى يشتري له بألف درهم ، وباقية الريحان بخمسمائة درهم .

وكان الفضل بن يحيى أمر بأن تحمل صُرر الدنانير فتلقى في عتَبِ أبواب جيرانه بالليل ، فإذا أصبحوا وجدوها ، فرَّبما بلغ ذلك في الليلة الواحدة مائة ألف ... وكان إذا جاء الشتاء تصدَّق بجميع ما في خزائنه من كُسوة الصيف ، وإذا جاء الصيف تصدَّق بجميع ما فيها من كُسوة الشتاء . وما روى مثل هذا الجود عن أحد في أوَّل ولا آخر ، فقال فيه أبو قابوس الحيرى :

رأى الله للفضل بن يحيى فضيلة
ففضله ، والله بالناس أعلم

(١) يستام : يعرض البيع ويغالى فيه ، والسائم : البائع

(٢) ما كسه مما كسه ومكاساً : شاحنة لينقص من الثمن

له يوم بُؤس فيه للناس أبؤس^(١)

ويوم نعيم فيه للناس أنعم

وقال أبو النضير [عمر بن عبد الملك^(٢)]:

ويفرحُ بالمولود من آل برمك

بغاة الندى والرمح والسيف ذو النصل

وتنبسطُ الآمال فيه لفضله ،

ولا سبًا إن كان من ولد الفضل

وقال آخر:

إذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة ،

رأيت بها عشب السباحة ينبت

ووجه المأمون إلى طاهر بن الحسين بمائة ألف دينار ،

فصادفه الرسول وهو راكب فقتل رجلاه على ظهر فرسه فقسمها

وسار ولم يبق منها دينار واحد

وأخبرنا أبو القاسم بن شيران ؛ عن عبد الرحمن بن جعفر ،

(١) يعني يوم الحرب

(٢) في الأصل « أبو البصير » وأثبتنا اسمه بين قوسين وهو

زيادة من عندنا

عن الغلابي ، عن ابراهيم ، عن الاصمعي قال : لما ولدت ابنة
جعفر محمداً قال مروان بن أبي حفصة :

لِلّهِ دُرُّكَ يَا عَقِيلَةَ جَعْفَرَ

ماذا ولدتِ من النّدى والسُّودِ !

إِنَّ الْخِلَافَةَ قَدْ تَبَيَّنَ نُورُهَا

لِلنَّاطِرِينَ عَلَى جَبِينِ مُحَمَّدٍ

إِنِّي لَأَعْلَمُ إِنَّهُ خَلِيفَةٌ

إِنْ بَيْعَةٌ عُقِدَتْ وَإِنْ لَمْ تُعْقَدْ

فأمر له هارون بثلاثة آلاف دينار ، وأمرت زبيدة أن

يحشى فوهُ جوهراً ، فكانت قيمة الجوهر عشرة آلاف دينار

وأخبرنا أبو القاسم ، عن عبد الرحمن ، عن الغلابي ، عن

سعيد بن محمد الخراساني قال : دخل ابن أبي المخيس على المهدي

— وكان أعرابياً بدوياً — فأنشأ يقول :

خليفةَ اللهِ الْمُصَفَّى بِالْكَرَمِ

يَا خَيْرَ مَنْ طَبَّقَ نَعْلًا بِقَدَمٍ

فَدَتِكَ نَفْسِي مِنْ مَعَارِضِ السَّقَمِ

عُدْتُ بِقَبْرِ الْهَاشِمِيِّ بِالْحَرَمِ

بَقِيرِ عَبْدِ اللَّهِ ذِي الْأَنْفِ الْأَثَمِ^(١)

وَعُذْتُ بِالْمَهْدِيِّ مِنْ دَيْنِ جَحْمٍ ...

عَلَى حَتَّى سُلَّ جَسْمِي فَانْهَدَمَ

فَجَلَّ عَنِّي غُمَّةٌ مِنْ الْغَمِّ

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : نِعَمَ مَلَاذُ خَلَّتْكَ^(٢) يَا ابْنَ أَبِي الْخَيْسِ .

حَاجَتَكَ ! قَالَ : دَيْنِي . قَالَ : فِكَمْ هُوَ ؟ قَالَ : خَمْسَةُ آلَافِ دِرْهَمٍ ،

قَالَ : يَا غَلَامَ ! أَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ قَدْ أَمَرَ لَهُ بِهَا ، التَفَتَ

إِلَيْهِ وَقَالَ : بِقَرَأَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا

جَعَلْتَهَا دَنَانِيرَ ، قَالَ : اجْعَلُوهَا دَنَانِيرَ !

وَأَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ الْغَلَابِيِّ ، عَنْ

الزُّبَيْرِ قَالَ : اسْتَنْشَدَ الْمَهْدِيُّ جَدِّي عَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ نَسِيبًا

حَلُوءًا فَأَنْشَدَهُ قَوْلَ الْأَحْوَصِ :

(١) قَبْرِ الْهَاشِمِيِّ الَّذِي بِالْحَرَمِ هُوَ قَبْرِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَاسْمُهُ

(عَبْدُ اللَّهِ) كَمَا ذَكَرَهُ هُنَا ، وَقَدْ دُفِنَ أَبُو جَعْفَرٍ بَيْتِ مَيْمُونٍ بِأَعْلَى مَكَّةَ .

وَالْمَهْدِيُّ وَلَدُ أَبِي جَعْفَرٍ

(٢) فِي الْأَصْلِ « مَلَأَ جِلْدَكَ » وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا تَوَهَّمْنَاهُ فَأَثْبَتْنَاهُ .

وَالْخَلَّةُ الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ

خمس دَمَسْنَنَ إِلَى فِي لَطْفٍ حُورُ الْعَيُونِ نَوَاعِمُ زُهُرٍ^(١)
 فَطَرَقْتُهُنَّ مَعَ الرَّسُولِ وَقَدْ نَامَ الرَّقِيبُ ، وَحَلَقَ النَّسْرُ^(٢)
 مُسْتَبْطِنًا - لِلْحَيِّ إِنْ فَرَعُوا - عَضْبًا يَلُوحُ بِمَتْنِهِ أَثَرُ^(٣)
 فَمَكَثْنَ ، لَيْلَتَهُنَّ نَاعِمَةٌ حَتَّى اسْتَفَقْنَ وَقَدْ أَضَا الْفَجْرُ^(٤)
 بِأَثَمٍ ، مَعْسُولٍ مُزَاحَتُهُ ، غَضُّ الشَّبَابِ ، رِداؤُهُ غَمْرُ^(٥)

(١) ذكر الأبيات بنماها أبو الفرج في الأغاني ج ١٦ ص ٨٩
 (الساسى) وقد وضعنا الزيادة التي بين الأقواس من الأغاني إذ غيرها
 تضعف الأبيات

دمسْنَنَ في لطف : سِرْنَنَ في رفق متخفيات ؛ زُهُرُ : جمع زهراء ،
 من الزهرة وهي البياض النير كاللؤلؤة .

(٢) النسْرُ : أحد النسرين من نجوم السماء وهما الطائر والواقع .
 وتحليقه ارتفاعه وذلك في أوسط الليل

(٣) استبطن السيف جعله تحت خصره ، والعَضْبُ : السيف
 الماضي ، والأثر : ما يكون بالسيف من ديباجته وفرنده ولمعانه

(٤) أضَا : مسهلة عن أضاء . وفي الأغاني « بدا »

(٥) الأشم : هو هنا السيد الكريم ذو الأنفة . معسول مُزَاحَتُهُ حلو
 الفكاهة والدعابة . الغمر الواسع ، ويقولون رجل غمر الرداء يعنون بذلك
 أنه واسع الخلق سخى كثير المعروف وإن كان رداؤه على الحقيقة صغيرا

[زَوَّلَ بَعِيدُ الصَّيْتِ مُشْتَهَرٌ
قَامَتْ تُخَاصِرُهُ لِكَلَّتِهَا
[سيفانة أشر الشباب بها
وتراجعاً من دون نسوتها
كُلُّ يَرَى : أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ
جَابَتْ لَهُ جَيْبُ الدُّجَى عَمْرٌ (١)
تَمَثَّى التَّأَوُّدَ غَادَةً بِكْرٌ (٢)
رَقْرَاقَةٌ لَمْ يُبْلِهَا الدَّهْرُ (٣)
كَلِمًا تُسَرُّ كَأَنَّهَا سِحْرٌ
- فِي كُلِّ غَايَةٍ صَبْوَةٌ - عَذْرٌ

(١) ورد هذا البيت في الاغاني هكذا :

« زرن بعيد الصيت مشتهر جيبت له جيب الرحي عمرو »
ولا معنى له ، واجتهدنا فلم نعثر عليه ، فتوهمنا صحته فيما أنبتنا .
والزول : الغلام الخفيف الروح الظريف وجيب الدجى : ثوبه المظلم
الأسود وجابت : شتته بنورها وحسنها . وعمر : عمرة اسم امرأة
عندها ، إذ أنه في البيت قبل ذلك ذكر نسوة فقال « فعكفن » ثم قال
في البيت الذي بعد هذا « قامت نخاصره » ولا يستقيم البيت إلا إذا
ذكر امرأة بعينها قبله

(٢) نخاصره : يدها في يده . والكلة . خدرها

(٣) سيفانه : ضامرة البطن شطبة كأنها نصل سيف . والأشر :
الروح والنشاط وأصله في الاغاني « أمر » ولم نتبين لها معنى . والرقراقة
البراقة كأن الماء يجري في وجهها

حَتَّى إِذَا أَبْدَى مَوَدَّتَهَا وَبَدَا هَوَاهَا مَالَهُ سِتْرٌ^(١)
 سَفَرَتْ - وَمَا سَفَرَتْ لِمَعْرِفَةٍ - وَجْهًا أَغْرَّ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ
 وَأَنشده لصخر بن الجعد [الخضري] ^(٢) :
 [هَنِئْنَا لَكَاسٍ قَطَعُهَا الْحَبْلُ بَعْدَمَا
 عَقَدْنَا لَكَاسٍ مَوْعِدًا لَا نَخُونُهَا^(٣)]
 وَإِشْمَاتُهَا الْأَعْدَاءُ حِينَ تَأْتِبُوا
 حَوَالِيَّ ، وَاشْتَدَّتْ عَلَيَّ ضُغُونُهَا^(٤)
 فَإِنْ تَصْرُمِي ، وَكَلَّتْ عَيْنِي بِالْبُكَاءِ ،
 وَأَشْمَتُ أَعْدَائِي فَقَرَّتْ عُيُونُهَا
 فَإِنَّ حَرَامًا أَنْ أَخُونَكَ ؛ مَا دَعَا
 مَعَ اللَّيْلِ قُرَى الْحَمَامِ وَجُونُهَا^(٥)

- (١) في الاغانى « حتى إذا أبدى هواها لها »
 (٢) ورد شعر صخر في الاغانى (ساسى) ج ١٩ ص ٦٧ و ٦٨ وقد
 أثبتنا الزيادات بين أقواس كما ترى لجودة هذه الكلمة
 (٣) كأس هي صاحبه ، وله معها حديث طويل
 (٤) الضغون جمع ضغن وهو الحقد
 (٥) في الأغاني وغيره « يبلبل قري الحمام » ولعله موضع ببلاد

وما طرد الليلُ النهارَ ، وما بَكَتْ

على شجرٍ ورَقاءُ شاجٍ رَئِيْنُها

وقد أَيْقَنْتْ نَفْسِي بأن حِيلَ بَيْنَها

وبَيْنَكَ لو يَأْتِي بِئَاسٍ يَقِيْنُها

وَلَكِنْ أَبَتْ أَنْ تَسْتَفِيْقَ ، وَلَا تَرَى

سُلوًا وَلَا مَجْلُوْدَ صَبْرٍ يُعِيْنُها (١)

لو أَنَا إِذِ الدُّنْيَا بِنَا مَطْمَئِنَّةٌ

دَجَا ظِلُّها ثُمَّ ارجَحْنَتْ غُصُوْنُها (٢)

لَهُوْنَا ، وَلِكُنَا بِغِرَّةٍ عَيْشُنَا

عَجَبْنَا لِدُنْيَانَا فَكَدْنَا نَعِيْنُها (٣)

وَكُنَّا إِذَا نَحْنُ التَّقِيْنَا ، وَمَا نَرَى

لِعِيْنَيْنِ إِلَّا مِنْ حِجَابٍ يَصُوْنُها

الْخَضْرُ ، والقمرى ضربٌ من الحمام أبيض . والجون : بضم الجيم جمع

جون بفتح فسكون وهو من الحمام أسود مشرب بحمرة

(١) فى الأصل « أَبَتْ لى أَنْ تستبيل يوما وأن ترى » ورواية

اللاغانى أوضح . والمجلود : الجلد وهو أحد المصادر التى جاءت على مفعول

(٢) دجا : امتدَّ وانبسط . ارجحن : اهتزَّ

(٣) بفتح النون من عان الشئ يعينه إذا أصابه بالعين

أخذنا بأطراف الأحاديث يديننا
وأوسـاطها حتى تملَّ فنونُها [
 فأعطاه سبعة آلاف دينار

وأخبرنا أبو القاسم بن شيراز ، عن عبد الرحمن بن جعفر ،
عن الغلابي ، عن جعفر بن أحمد النوفلي ، عن محمد بن أيوب بن
جعفر بن سليمان قال : كان بالبصرة فتى من بني تميم ، . . . وكان
شاعراً ظريفاً فاستشارني في مدح المأمون وقصده : فلم أشر عليه
به ، لِقِلَّةِ رغبة المأمون - كانت - في الشعر ؛ فقال : ربَّما زهدَ
الرَّجل في الشيء ثم أقبل عليه . فخرج والمأمون « بسَلغوس » (١)
قال : فخرجت بسحر نحو العسكر فلقيت رجلاً على بغل أسود
ما رأيت مثله ، فسألني عن مقدمي ، فذكرت له أنني قصدتُ

(١) في الاصل « بسفلوس » ولم نجد لها ولعل الصواب ما أثبتناه
فان المأمون غزا حصناً من حصون الثغور بعد طرطوس اسمه « سَلغُوس »
بفتحين ثم ضمة . وقد ذكر الطبري في تاريخه سيره اليه في أحداث
سنة ٢١٧ ثم ذكر شخوصه منه الى الرقة في أول أحداث سنة ٢١٨ .
وقد ذكر الطبري هذه القصة عن محمد بن أيوب نفسه بأطول من هذا
وأضبط معنى فراجعها في ج ١٠ ص ٢٩٧ و ٢٩٨ .

المأمون بشعر خفيف حلو ، فاستنشدنيه فقلت : إنما قصدت
الخليفة ، فقال : أنشدنيه فإن كان على ما تصف لأصلنك ،
ولأحملنك على بغلي هذا ، فأنشدته :

مأمون ! يا ذا المن الشريفة ، وصاحب المرتبة المنيفة
وقائد الكتيبة الكثيفة ، هل لك في أرجوزة ظريفة ؟
أظرف من فقه أبي حنيفة ، لا والذي أنت له خليفة ...
ما ظلمت في أرضنا ضعيفه ، أميرنا مؤنته خفيفة
ما يجتبي شيئا سوى الوظيفة ، فالذئب والنعجة في سقيفه
واللص والتاجر في قطيفة

قال : فضحك واستطاب الشعر ، وأوماً الى واحد من
غلمانہ فجاء ير كض ، فقال : كم معك ؟ قال : ثلاثة آلاف دينار ،
قال : أبذلها الى السعدي . ثم قال : وفينا لك ؟ قلت : والله
ما هذا وفاء ، هذا عطاء البحر اذا زخر ، وضرب كفلاً بغله
وانصرف

فهؤلاء - أي ذلك الله - أعطوا هذا الكثير ولم يحفظوا من
الذكر بما حظي به منعطى القليل . فليس ينبغي أن يستعنى من

إِعْطَاءِ مَا كَسَبَ مِثْلَهُ الذِّكْرَ الْبَاقِي فِي الْأَعْقَابِ ، الْمُسْتَغْرِقِ
لِمَدَى (١) الْأَحْقَابِ ، الَّذِي لَا تَقْدَحُ فِيهِ الْأُزْمَانُ ، وَلَا تَتَحَيَّفُهُ
صُرُوفُ الْحَدَثَانِ

وَأَنشَدَنَا أَبُو أَحْمَدَ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ :
وَكُنْتُ إِذَا دُعِيتُ إِلَى طَعَامٍ
أَجَبْتُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنِّي تَوَكُّانٍ
ظَلَّلْنَا - مِنْ بَشَاشَتِنَا - كَأَنَّا
بِیَوْمٍ لَيْسَ مِنْ هَذَا الزَّمَانِ
فَذَكَرَ أَنَّهُ إِذَا دُعِيَ إِلَى طَعَامٍ لَمْ يَكِدْ فِي تَحْصِيلِهِ سُرَّ سُرُورًا
وَبَشَّ بَشَاشَةً لَيْسَ لَهُ بِمِثْلِهَا عَهْدٌ فِي زَمَانِهِ
وَرَوَى عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : كُنَّا نَعْدُو
لِمَقْرِضٍ بِخَيْلٍ ، إِنَّمَا كَانَتْ مُوَاسَاةً
وَمَا هُوَ دَاخِلٌ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ قَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى
عَنْهُ : « إِنْ صَدَقَ أَحَدُكُمْ بِقَبْلِهَا اللَّهُ وَيُرِيَّهَا كَمَا يُرِيِّي أَحَدُكُمْ
فِيْلُوهُ وَفَصِيلَهُ ، حَتَّى اللَّقْمَةُ تُصِيرُ مِثْلَ أَحَدٍ »

(١) فِي الْأَصْلِ « لِمَدَى » وَهُوَ خَطَأٌ

وَقَالَتْ بَعْضُ النِّسَاءِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّهُ يَأْتِنِي السَّائِلُ
فَأَتَزَهَّدُ لَهُ بَعْضَ مَا عِنْدِي ^(١) ، فَقَالَ : ضَعِي فِي يَدِ الْمِسْكِينِ وَلَوْ
ظُلْفًا مُحْرَقًا

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : كَانَ رَاهِبٌ عَدَدَ اللَّهِ سِتِّينَ
سَنَةً ، فَتَزَلَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ فَوَاقَعَهَا سِتَّ لَيَالٍ ، ثُمَّ نَدِمَ فَهَرَبَ ،
فَأَتَى مَسْجِدًا فَكَثَّ ثَلَاثًا لَا يَطْعَمُ ، فَأَتَى بِرَغِيفٍ فَأَعْطَى نِصْفَهُ
رَجُلًا عَنْ يَمِينِهِ ، وَنِصْفَهُ رَجُلًا عَنْ يَسَارِهِ ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ ، فَوَضَعَ
عَمَلِ سِتِّينَ سَنَةً فِي كِفَّةٍ ، وَوَضَعْتَ السَّيِّئَةَ فِي كِفَّةٍ فَرَجَحَتْ .
فَجِيءَ بِالرَّغِيفِ فَرَجَحَ بِالسَّيِّئَةِ

وَكَانَ عِنْدَ عَائِشَةَ طَبِيقُ عَنَبٍ ، فَجَاءَ سَائِلٌ فَدَفَعَتْ إِلَيْهِ حَبَّةً
وَاحِدَةً مِنْهُ ، فَضَحِكَ نِسَاءً كُنَّ عِنْدَهَا فَقَالَتْ : إِنَّمَا فِيمَا تَرَيْنَ
مِثَاقِيلُ دَرٍّ كَثِيرَةٌ أَرَادَتْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : « فَمَنْ يَعْمَلْ
مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ »

وَسَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَأَعْطَاهُ دِرْهَمًا ، فَقَالَ :
أُصْلِحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، صَاحِبَ الْعِرَاقِ وَخَلِيفَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يُعْطَى

(١) تَتَوَخَّى أَنْ تَعْطِيَهُ الزَّهِيدَ : الْقَلِيلَ الْحَقِيرَ

درهما ! فقال : نَعَمْ ، إِنَّ مَنْ بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
رُبَّمَا رَزَقَ أَخَصَّ عِبَادِهِ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ وَسِيلَةَ اللَّقْمَةِ وَالْتَّمَرَةِ ،
فَمَا يَكْبُرُ عِنْدِي أَنْ أَصِلَ رَجُلًا مِنْ اخْوَانِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ،
وَلَا يَصْغُرُ عِنْدِي أَنْ أُطْعِمَ سَائِلًا رَغِيفًا - إِذَا كَانَتِ الْجَوَادُ
الْكَرِيمُ يَفْعَلُ ذَلِكَ

ومثلُ هذا الخبرُ خبرُ المنصورِ مع « سَلَمِ الحَادِي » وقد
ذَكَرْنَاهُ فِي « كِتَابِ الدِّينَارِ وَالْدِرْهَمِ » وَنُورِدُهُ هَهُنَا لِمَجَانِسَتِهِ مَا قَبْلَهُ .
وَهُوَ الَّذِي أَخْبَرَ نَاهُ أَبُو أَحْمَدَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنِ الْفَضْلِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ السَّنْدِيِّ بْنِ شَاهِكٍ ، عَنْ الْفَضْلِ
ابْنِ الرَّبِيعِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : حَدَّثَنَا « سَلَمُ الحَادِي » بَيْنَ يَدَيَّ أَبِي
جَعْفَرٍ بِطَرِيقِ مَكَّةَ وَهُوَ حَاجٌّ :

أَغْرُ بَيْنَ حَاجِبِيهِ نُورُهُ	إِذَا تَغَدَّى رَفِعتُ سِتُورُهُ
زَيْنُهُ حَيَاؤُهُ وَخَيْرُهُ	فَتَى ، قَلِيلٌ فِي الْوَرَى نَظِيرُهُ
يَضْحَكُ مِنْ بَهَائِهِ سَرِيرُهُ	وَمِسْكُهُ يَشُوبُهُ كَافُورُهُ
أَوْدَى الصَّبَا ، وَتَفِدَتْ زَهْوَرُهُ ،	

وَالْقَلْبُ قَدْ أَهْبَبَهُ سَعِيرُهُ

والحُبُّ دائِمٌ هَالِكٌ أُسِيرُهُ لا شَيْءٌ يَرُدِّي الهمَّ أَوْ يُثِيرُهُ
إِلَّا رَوَّاحُ الصَّبِّ أَوْ بَكُورُهُ فَوْقَ خَدَبٍ جَائِلٍ ضَفُورُهُ (١)

قال فاستحسن أبو جعفر الأبيات وضرب برجله وقال :
ياربيع ! أعطه نصف درهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ! نصف درهم ؟
لقد حدثت بها بين يدي هشام فأمر لي بمائة ألف درهم ، فقال :
مائة ألف درهم من مال الله ! ما كان له أن يُعطيكها ، وما كان
لك أن تأخذها ، ياربيع ! استخرجها منه . قال : يا أمير المؤمنين !
قد والله وصلت بها القرابة ، وحملت بها الكل ، وأنفقتُها على
الولد ، وما بقي منها شيء . قال : فما زلت أسفر بينه وبينه حتى
ضمن أن يحدو به ذاهباً وجائياً ، ولا تلزمه مؤونة ، فقلب
بعض الشعراء هذا المعنى فقال :

كُوَيْتِبُ يَرْفَعُهُ تَصْغِيرُهُ كَأَنَّمَا تَصْغِيرُهُ تَكْبِيرُهُ
لَمْ يَرْ فِي سُقُوطِهِ نَظِيرُهُ الْكَلْبُ مِنْ أَخْلَاقِهِ يَمِيرُهُ
وَالْقِرْدُ يَحْكِيهِ وَيَسْتَعِيرُهُ أَقْبَحُ مِنْ ظَاهِرِهِ ضَمِيرُهُ

(١) الخدبُ من الاباعر الصلب الشديد الضخم . والضفور : جمع
ضَفْرٍ وهو ما يُشَدُّ به البعير من الشعر المضافور ، والكناية في قوله « جائل
ضفوره » عن هزاله وضعفه من جهد السير له

إِذَا تَغَدَّى أُطْبِقَتْ سُتُورُهُ
وَحُرِسَتْ حِيطَانُهُ وَسُورُهُ
وَقَامَ عِنْدَ سِتْرِهِ نَذِيرُهُ :
خَلَقَ مِنَ النَّاسِ ، وَلَا يَزُورُهُ
فَإِنَّ دَنَا أَحْرَقَهُ سَعِيرُهُ
خَلَقَ ، وَلَا يُرْجَى لَهُ جَبُورُهُ
ثُمَّ عَلَا مِنْ كِظَّةٍ زَفِيرُهُ
وَأُثْبِتَتْ مِنْ خُبْرِهِ كُسُورُهُ
وَدَارَ فِي الدَّارِ بِهَا وَزِيرُهُ
وَسُمِرَتْ أَبْوَابُهُ وَدُورُهُ
وَالدَّيْدَانُ فَوْقَهَا نَاطُورُهُ (١)
لَا يَقْرَبُ الْبَابَ وَلَا يَطُورُهُ (٢)
إِلَّا شَقِيٌّ غَرَّهُ غُرُورُهُ
وَكُسِرَتْ سَاقَاهُ ، لَا يُجِيرُهُ
حَتَّى إِذَا اسْتَوَى فِي وَطْمٍ بِيرُهُ (٣)
وَأُخْصِنَتْ مِنْ بَعْدِهَا قُدُورُهُ
وَحَصَلَتْ فَضْلَاتُهُ وَسُورُهُ (٤)
وَصَارَ فِي دِيْوَانِهِ تَوْفِيرُهُ (٥)

عاد إليه عائداً سروره

قال : وسمعت أصحابنا يتحدثون أن رجلاً حمل لرجل حملاً
وبلغ به غاية بعيدة ، فأعطاه « قيراطاً » فاستحققره واستزاده ،

(١) الناظر والناطور : حافظ الزرع والكرم

(٢) طاره يطوره : حام حوله ودنا منه

(٣) طم . امتلا . ويعنى بالبر بطنه في سعته

(٤) سوره : مخففة من سوره وهو بقية الماء في الاناء

(٥) في الاصل « تزفيره »

فقال : أَلَسْتَ حَقِيرَهُ ، وَإِنَّكَ لَوِ اشْتَرَيْتَ بِهِ رَغِيْفًا فَأَكَلْتَهُ دَفَعْتَ بِهِ يَوْمَكَ ، وَكَسَبْتَ عَلَيْهِ أَضْعَافَهُ ؟ أَوْ قَرَبَةً مَاءٍ كِفَاكَ فِي شُرْبِكَ وَطَهُورِكَ يَوْمِينَ ؟ أَوْ بَاقَةً بِقَلِّ زَيْنَتِ بِهَا مَائِدَتُكَ ، وَطَبِيتَ فِي أَكْلِكَ ؟ أَوْ مِلْحًا أَجْزَأَكَ فِي طَبِيخِكَ وَغَيْرِهِ أَيَّامًا ؟ أَوْ أَشْنَانًا كِفَاكَ فِي تَطْيِيبِ يَدِكَ مُدَّةً ؟ أَوْ دَخَلْتَ بِهِ الْحَمَّامَ تَقَيَّتَ جَسَدَكَ ؟ أَوْ ابْتَعْتَ بِهِ الصَّابُونَ نَظَّفْتَ بِهِ ثَوْبَكَ ؟ أَوْ احْتَجَجْتَ إِلَى عُبُورِ نَهْرٍ كَانَ مُقْنَعًا لِلْأَحْيَاءِ ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَنَافِعِ ؟ لَقَدْ صَغَّرْتَ عَظِيمًا ، وَاسْتَحَقَّرْتَ جَسْمًا . فَانْطَلِقِ الرَّجُلَ بِهِ وَلَمْ يَمَّا كَسَهُ وَقَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِرَجُلٍ : ادْفَعْ لِي دُرِّيهِمَا ، فَقَالَ : أَتَصَغَّرُهُ ؟ إِنَّهُ عَشْرُ الْعَشْرَةِ ، وَالْعَشْرَةُ عَشْرُ الْمِائَةِ ، وَالْمِائَةُ عَشْرُ الْأَلْفِ ، وَالْأَلْفُ عَشْرُ دِيْنَتِكَ ^(١) .

وَذَكَرَ أَنَّ بَعْضَ الْهَاشِمِيِّينَ زَارَ مُحَمَّدَ بْنَ بَشِيرٍ فَأَخْضَرَهُ خُبْزًا قَدْ أَتَتْ عَلَيْهِ أَيَّامٌ ، وَتَمْرَاتٍ ، فَقَالَ الْهَاشِمِيُّ : هَذَا جُودُ الْأَذْوَاءِ . . . ، يَرِيدُ أَنَّهُ مِنَ الْبَيْنِ ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ :

(١) فِي الْأَصْلِ « دِينَكَ » بَيَاءٌ ثُمَّ نُونٌ وَلَا مَعْنَى لَهُ ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتْنَاهُ لِأَنَّ الْأَلْفَ قَرِيبٌ مِنْ عَشْرِ دِيْنَةِ الْمُسْلِمِ وَذَلِكَ أَنَّ دِيْنَةَ الْمُسْلِمِ الْحَرَّ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ

لقلَّ عاراً - إذا ضيَّفَ تضيِّفني -

مَا كَانَ عِنْدِي ؛ إِذَا أُعْطِيتُ مُجْهُودِي

جُودُ الْمُقِلِّ إِذَا أُعْطَاكَ نَائِلُهُ ،

وَمُكْثَرٌ فِي الْغِنَى ، سَيَّانٍ فِي الْجُودِ (١)

وقال غيره :

أَقِلُّ وَأُثْرِي ، كُلُّ ذَاكَ يَسُرُّنِي ؛

وَلِلدَّهْرِ وَالْإِنْسَانِ حَالٌ تَقَلَّبُ

وَيَلْزَمُنِي حَقٌّ فَلَا أُسْتَطِيعُهُ ،

وَلَا يَنْفَعُ الرَّاجِينَ أَهْلُهُ وَمَرْحَبُ

وَمَا أَبْطَلَ الْإِعْدَامُ حَقًّا لِرَاغِبٍ ،

وَلَكِنَّهُ فِي حَالَةِ الْيُسْرِ أُوجِبُ

ومثل هذا - أيَّدك الله - كثير ، وفيما سقته إليك كفاية

لك ... إن شاء الله تعالى »



(١) حق المعنى ان يقول « ومكثر من غنى »

فهرس

كتاب

فضيل العطاء على العسر

لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري

صفحة

٣ مقدمة الناشر

٤ كلمة في الجود لمحقق الكتاب الاستاذ محمود محمد شاكر

١٣ خطبة المؤلف

١٤ الموازنة بين الجود عن يسار وجدة ، وبين جهد المقل

١٥ بعض ما قيل في جهد المقل

١٥ كتاب بعث به كلثوم بن عمرو العتابي الى رجل في حاجة

١٦ أبيات لعلها للعتابي في بخل العباس بن محمد بن علي العباسي

١٧ ما مدحت العرب بمثل الاعطاء على العسر

١٨ ثناء عبد الملك بن مروان على عروة بن الورد لشعر قاله

١٩ أبيات لعتيبة بن بجير الحارثي

١٩ (هامش) من عادة العرب أن ينبج طارق الليل

٢١ ثناء هارون الرشيد على شعر اسحاق الموصلي

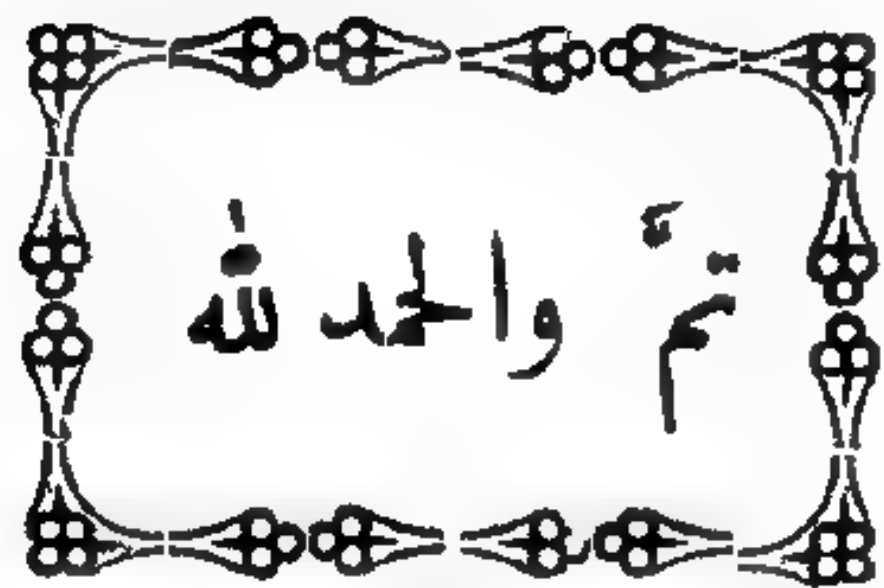
٢١-٢٢ أبيات اسحاق التي أثنى عليها الرشيد

- ٢٢ مدح الفرزدق يزيد بن المهلب وهو في سجن الحجاج
- ٢٣ عبد من عبيد العرب اقتبس من كرمهم وأخلاقهم
- ٢٤ ذم الاعطاء بغير كرم ، وأبيات ابراهيم بن العباس
- ٢٤ مدح أشجع السلمي يحيى بن جعفر بالاعطاء على الاقلال
- ٢٥ كلمة ابن المعتز في العطاء على العسر
- ٢٥ أبيات ابن الرومي في مطل البخيل
- ٢٦ قول العرب « ان الرثيئة تفتأ الغضب »
- ٢٧ أبيات في تفضيل القليل على المنع
- ٢٨ هدية صديق مملق ظريف ، وكتاب منه لطيف
- ٢٩ هدية أبي يحيى الكنعني الى مغنية في يوم افتصادها
- ٣٠ الاعرابي وابن عائشة في زمن اضاقة
- ٣١ بكاء سفيان بن عيينة لعجزه عن اجابة سائل
- ٣٢ أجواد العرب : حاتم وابن مامة وهرم
- ٣٢ أبيات زهير في هرم
- ٣٢ حاتم يفدى أسيراً باطلاقه والاقامة في قدّه
- ٣٣ النصارى . وقصة الفرزدق مع عاصم العنبري
- ٣٤ تصافن كعب بن مامة ورجل عري
- ٣٥ بعض ما قيل في مدح القليل
- ٣٦-٣٥ أبيات نفيسة رواها ابن الاعرابي

صفحة

- ٣٧ أبيات لجابر بن ثعلب الطائي وابن الرومي وغيرهما
 ٣٨ أبيات لاوس بن حجر والحسين بن مطير وغيرهما
 ٣٩ تعجيل القليل خير من المثل في الكثير
 ٤٠ أبيات للمأون في العرض السابري
 ٤١ المدح بالكرم غنيمة لا يساويها العطاء مهما عظم
 ٤٢ صلاة نُبِّيت لم تعصمه عن الذم بالبخل
 ٤٣ سخاء اعرابي لعبيد الله بن عباس ومكافأة عبيد الله له
 ٤٤ ثناء معاوية على مكافأة عبيد الله للاعرابي
 ٤٥ ما قاله بعض الحكماء في مكارم الاخلاق
 ٤٦ أقوال أخرى للحكماء في الشح والاحسان
 ٤٩ رجل يحذو النعال يشفق على أبي جعفر المنصور ويحسن اليه
 ٥٠ رجل يعظ والياً جباراً من ولاية البصرة
 ٥١ أجواد العرب اشتهروا بالجود لانهم يعطون وهم محتاجون
 ٥٢ خاتم يذبح فرسه ليطعم الجائعين
 ٥٣ عفة يعقوب بن داود وعزة نفسه
 ٥٤ شفقة الامين على خادمه كوثرو شدة محبته له
 ٥٥ شعر للامين يحيزه عبد الله بن أيوب التميمي
 ٥٥ سخاء الامين
 ٥٦-٥٥ البرامكة يستميلون الناس بالبذل

- ٥٧ سخاء طاهر بن الحسين
٥٨ سخاء الرشيد وزبيدة
٥٩-٥٨ أبيات ابن أبي الخديس وعطاء المهدي عليها
٦٠ رائية الأحوص ينشدها عبد الله بن مصعب المهدي
٦٢ نونية صخر بن الجعد » » »
٦٥ المأمون يثيب راجزاً وهو في طريقه الى حرب الروم
٦٦ قول عمر « كنّا نعدُّ المقرض بخيلاً »
٦٧ أحاديث في الجود بالقلميل
٦٨ حذاء سلم بين يدي المنصور ، وحداؤه بين يدي هشام
٦٩ المنصور يريد استخراج جائزة هشام من سلم
٧٠ شاعر يقلب حذاء سلم ذمّاً
٧١ بعض أخبار البخلاء
٧٢ أبيات محمد بن بشير في جود المقلّ



الحنين إلى الأوطان

لأبي عبد الله محمد بن عبد الجبار

جمع فيه أبلغ وأبدع ما قالته العرب نظماً ونثراً في حنينها إلى
أوطانها، ووصف هذه العاطفة البشرية التي فقت فيها أمة العرب
جميعاً أمم الأرض

صحح أصله العلامة المحقق

الشيخ طاهر الجزائري

رحمه الله

طبعة ثانية منقحة في المطبعة السلفية سنة ١٣٥١

في ٥٠ صفحة * ثمنه قرشان

الميسر والقِداح

لابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة

تضمن بيان حقيقة الميسر والقِداح في تاريخ العرب قبل الاسلام ، وأنهم كانوا يفعلونه بدافع من عاطفة الرحمة اذا أصيبت مسارح القبيلة بالجذب ، فيقتزع سراة القبيلة وأغنياؤها بالقِداح فمن أصابته القرعة كان عليه أن يذبح من سوائمه ومواشيه لفقراء القبيلة يشبعهم من لحومها

ألف هذا الكتاب أديب العربية الاكبر عبد الله بن مسلم ابن قتيبة ، واستنبط أحوال العرب في هذا الباب من أشعارهم فجعل يتدبرها ويستدل على كيفية لعب العرب بالقِداح باعتبار ماذكروه في أشعارهم عنها

حقق هذا الكتاب ، وشرحه ، ونشره

محب الدين الخطيب

١٧٣ صفحة * ثمنه ٥ قروش

تقويمنا الشمسى

بقلم محب الدين الخطيب

خلاصة تاريخية لما كان عليه التقويم الشمسى عند العرب قبل
الاسلام وبعده ، وكيف كانوا يؤرّخون ، وما هي الاشهر التي كانوا
يستعملونها للدلالة على الاوقات بسير الشمس

وفي هذه الرسالة دعوة موجهة الى الحكومات الاسلامية لاتخاذ
تاريخ شمسى هجرى ذى أشهر أسماءها عربية بنظام اتقن من التاريخ
الافرنجى وغيره من التواريخ المعروفة الى الآن

أَيْمَانُ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ

لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيري

كاتب الدولة المصرية في عهد كافور

أوراد فيها جميع الصيغ التي كانت تستعملها العرب في
جاهليتها إذا أراد الواحد منهم أن يحلف يميناً

نسخها وصححها ووقف على طبعها

محمّد الدّيب المطبّع

نقلا عن نسخة الخزانة التيمورية ، و نسخة دار الكتب المصرية

مع تعليقات وتحقيقات مهمة

وبأوله ترجمة المؤلف

٣٢ صفحة • ثمنه قرشان

بعض مطبوعات

المطبعة الشافعية - فمكنتها

١١ شارع اللبودية (درب الجاميز) بالقاهرة

- ١٥ المتقى من محاضرات الشبان المسلمين جزءان
- ٢ نقد على لكتاب الاسلام واصول الحكم للامامة السيد محمد الطاهر بن عاشور
- ٤ منطق المشرقين للرئيس ابن سينا
- ٢ الجواهر الكلامية في ايضاح العقيدة الاسلامية للامامة الشيخ طاهر الجزائري
- ٥ الفارة على العالم الاسلامي
- ٥ السياسة الشرعية أو نظام الدولة الاسلامية للاستاذ خلاف
- ١٠ كتاب الخراج ليعقوب بن آدم القرني
- ٣ نظام النفقات في الشريعة الاسلامية للاستاذ الشيخ احمد بك ابراهيم
- ٦ حياة الامام ابي حنيفة للاستاذ الشيخ سيد عفيفي
- ٦٠ الحديقة (مختارات) لمحب الدين الخطيب ١٢ جزءا
- ٤ مكارم الاخلاق ومعالها (من الحديث) للحافظ الخراطي
- ٤ البرهان القاطع في اثبات الصانع لمحمد بن ابراهيم الوزير
- ٤ موجز في التربية وعلم النفس للاستاذ الشيخ حسين سامي
- ٢ نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الاربعة وانتشارها لاهد نيمور ناشا
- ٢ ابواب مختارة في اللغة للاصفهاني
- ٢ ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرءان المجيد للمبرد
- ٣ التذكير بالرجع والمصير للشيخ كمال الدين الادهي
- ٣٠ نيل الوطري في تراجم رجال الدين (القرن الثالث عشر جزءان) للسيد محمد زبارة
- ١٢ تاريخ اليمن للشيخ عبد الواسع البني
- ١٥ دعوة نصارى العرب الى الدخول في الاسلام للاستاذ خليل اسكندر قبرصي
- ٣ الاخلاق للاستاذة محمد توفيق قداح وعبد المصم البسيوني ومحمد سليم متولى